الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الطارف
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم علم الاجتماع

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
Chadli Bendjedid El Tarf University

المرجع رقم: 06../ق ع ا/ك ع ان اج/ 2025

التاريخ: 2025/11/26

إشهاد تطابق برنامج مقياس النظريات السوسيولوجية الحديثة- مطبوعة بيداغوجية د.مدار هدى

يشهد رئيس قسم العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الشاذلي بن جديد –الطارف– بأن:

المطبوعة البيداغوجية المقدمة من قبل الأستاذ (ة): **د.مدار هدى**

الخاصة بالتأهيل إلى رتبة: **أستاذ محاضر أ**

تحت عنوان: **النظريات السوسيولوجية الحديثة**

الموجهة لمستوى: **السنة الثانية LMD علم الاجتماع.**

بعنوان السنة الجامعية: **2026/2025.**

يتوافق مضمونها مع البرنامج الرسمي المقرر لمقياس: **النظريات السوسيولوجية الحديثة.**

رئيس القسم

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
قسم العلوم الاجتماعية و الإنسانية
المكلف بالتدريس و التعليم و التدرج
برجمة سومية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم علم الاجتماع

المرجع: ...../ج.ش.ب.ط/ك.ع.ا.ج.ا/2026 التاريخ : 2026/04/28

مستخرج من محضر إجتماع المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية والانسانية

بناءا على إجتماع المجلس العلمي لكلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية رقم : **03 بتاريخ : 2026/04/28** .

وافــق وصادق المجلس العلمي للكليــة على تحكيم المطبوعة البيداغوجية التي تقدمت بها الدكتورة:**مدار هدى** الموسومة ب : - **النظريات السوسيولوجية الحديثة**- موجهة لطلبة السنة الثانية علم الإجتماع

وهــذا بعــد ورود التقاريــر الإيجابيــة التاليــة :

- حياة طاهري أستــاذ محاضر - أ - جامعــة سطيف 02 تقريــر إيجابــي
- بوغراف حنان أستـــــاذ جامعــة الطارف تقرير إيجابـــي

رئيس(ة) المجلس العلمي للكلية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة الشاذلي بن جديد
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
رئيس المجلس العلمي
السنة: بلجمل محمد العربي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشادلي بن جديد الطارف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية لأجل التأهيل الجامعي

موجهة لطلبة السنة الثانية LMD علم الاجتماع

محاضرات في مقياس النظريات السوسيولوجية الحديثة

إعداد: د/ مدار هدى

السنة الجامعية: 2026/2025

المحتويات

تقديم----------ص09
ماهية العلوم الاجتماعية----------ص11
مفهوم العلوم الاجتماعية----------ص11
أهمية العلوم الاجتماعية----------ص11
أهداف العلوم الاجتماعية----------ص12
موضوع علم الاجتماع----------ص12
نشأة علم الاجتماع----------ص13
ماهية النظرية السوسيولوجية----------ص14
تعريف النظرية----------ص15
تعريف النظرية السوسيولوجية----------ص15
نشأة النظرية السوسيولوجية----------ص16
شروط بناء النظرية السوسيولوجية----------ص17
عناصر النظرية العلمية----------ص18
وظائف النظرية السوسيولوجية ----------ص19
أنواع النظرية السوسيولوجية ----------ص20
الأنماط الرئيسية للنظرية----------ص21
أهمية النظرية السوسيولوجية وعلاقتها بالبحث العلمي----------ص21
النظرية الوضعية الكلاسيكية----------ص25
مفهوم الوضعية ----------ص25

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية
قسم علم الاجتماع

نشأة الوضعية----------ص26
مبادئ الوضعية----------ص27
المهام النظرية للفلسفة الوضعية----------ص29
أسس الوضعية----------ص30
الانتقادات----------ص31
رواد الوضعية----------ص33
أوغست كونت----------ص33
سان سيمون----------ص36
هربرت سبنسر----------ص37
إيميل دوركايم----------ص37
ماكس فيبر----------ص38
تالكوت بارسونز----------ص39
النظرية الوضعية المحدثة----------ص40
مفهوم الوضعية المحدثة----------ص40
نشأتها----------ص40
مبادئها----------ص41
الوضعية المعاصرة والميتافيزيقا----------ص43
أسس الوضعية المعاصرة----------ص44
الانتقادات----------ص44
رواد الوضعية المحدثة----------ص46

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم علم الاجتماع

جورج لندبرج----------ص46
ويليام فليدينغ----------ص46
فرانسيس ستيوارت شابين----------ص47
ستيوارت دود----------ص48
الماركسية الكلاسيكية----------ص49
نشأة الماركسية----------ص49
الدراسة الاجتماعية من منظور ماركسي----------ص49
المقولات التي تقوم عليها الماركسية----------ص50
أسس الماركسية----------ص51
مبادئ الماركسية----------ص54
نقد الماركسية----------ص55
رواد الماركسية الكلاسيكية----------ص56
كارل ماركس----------ص56
فريديريك إنجلز----------ص59
نظرية الفعل الاجتماعي في علم الاجتماع(ماكس فيبر)----------ص60
مفهوم الفعل الاجتماعي----------ص60
التصور السوسيولوجي عند فيبر----------ص60
تصنيف الفعل الاجتماعي عند فيبر----------ص61
النموذج المثالي----------ص61
الدين والفعل الاجتماعي: الرأسمالية وأخلاق البروتستانتية----------ص62

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم علم الاجتماع

الانتقادات الموجهة لنظرية الفعل الاجتماعي----------ص63
النظرية البنائية الوظيفية----------ص64
تعريفها----------ص64
نشأتها----------ص64
أسسها----------ص65
مبادئها----------ص66
نقدها----------ص67
نظرية الفعل والنسق لتالكوت بارسونز----------ص68
تالكوت بارسونز----------ص68
نظرية الفعل----------ص68
نظرية النظم----------ص70
رواد البنائية الوظيفية----------ص73
هربرت سبنسر----------ص73
إيميل دوركايم----------ص73
تالكوت بارسونز----------ص75
روبرت ميرتون----------ص75
مالينوفسكي----------ص76
راد كليف براون----------ص77
الماركسية المحدثة----------ص79
التعريف بها----------ص79

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف - كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية
قسم علم الاجتماع

نشأتها----------ص81
الانتقادات الموجهة للنظرية----------ص81
رواد الماركسية المحدثة----------ص82
رالف دارندوف----------ص82
لويس كوزر----------ص82
جورج زيمل----------ص83
جورج لوكاش----------ص84
أنطونيو غرامشي----------ص85
آلان توران----------ص85
بيار بورديو----------ص86
فرانك باركن----------ص87
النظرية النقدية(مدرسة فرانكفورت)----------ص88
تعريفها----------ص88
نشأتها----------ص88
المنطلقات الأساسية لهذه المدرسة----------ص88
تقييم أفكارها ونقد أعمالها----------ص89
رواد النظرية النقدية----------ص90
غرونبرج كارل----------ص90
ماكس هوركايمر----------ص90
ثيودور أدرنو----------ص90

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف - كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية - قسم علم الاجتماع

هربرت ماركيوز----------ص90
رايت ميلز والخيال السوسيولوجي----------ص91
الخيال السوسيولوجي عند رايت ميلز----------ص91
ألفن جولدنر والتأمل السوسيولوجي----------ص92
التفاعلية الرمزية----------ص93
تعريفها----------ص93
الجذور التاريخية للنظرية----------ص94
التصور السوسيولوجي للتفاعلية الرمزية----------ص94
منهج التفاعلية الرمزية----------ص94
المقولات الأساسية للتفاعلية الرمزية----------ص95
الانتقادات الموجهة للتفاعلية الرمزية----------ص95
رواد التفاعلية الرمزية----------ص97
جورج هربرت ميد----------ص97
هربرت بلومر----------ص97
تشارلز هارتن كولي----------ص98
إرفنج جوفمان----------ص98
الظاهراتية(الفينومينولوجيا)----------ص100
مفهومها----------ص100
أصولها----------ص100
مضمونها----------ص100

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - قسم علم الاجتماع

بناؤها----------ص101
النقد الموجه لها----------ص102
رواد الظاهراتية----------ص103
أدموند هوسرل----------ص103
ألفريد شوتز----------ص103
جول مونترو----------ص104
المنهجية الشعبية(الإثنوميتودولوجيا)----------ص105
مفهومها----------ص105
جذورها التاريخية----------ص105
الافتراضات الأساسية للنظرية الإثنوميتودولوجيا----------ص106
منهجها----------ص106
الإنتقادات الموجهة لها----------ض106
رواد المنهجية الشعبية----------ص108
هارولد جارفنكل----------ص108
آرون سيكوريل----------ص108
هارفي ساكس----------ص108
إيرفنج جوفمان----------ص108
البنيوية----------ص110
تعريف البنيوية----------ص110
البنيوية الأنثروبولوجية: كلود ليفي ستراوس----------ص110

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - قسم علم الاجتماع

تاريخها----------ص111
الماركسية البنائية----------ص112
أوجه الاختلاف بين البنائية الماركسية والبنيوية----------ص112
بنيوية جوفمان----------ص113
الانتقادات الموجهة للبنيوية----------ص113
ما بعد البنيوية----------ص114
جاك ديريدا وما بعد البنيوية----------ص114
ميشال فوكو وما بعد البنيوية----------ص115
الحداثة وما بعد الحداثة----------ص116
مفهوم الحداثة----------ص116
مفهوم ما بعد الحداثة----------ص116
العلاقة بين الحداثة وما بعد الحداثة----------ص117
الجذور التاريخية لما بعد الحداثة----------ص117
نظرية ما بعد الحداثة----------ص117
الأسس التي تقوم عليها نظرية ما بعد الحداثة----------ص118
بعض منظري ما بعد الحداثة----------ص118
جان بودريار----------ص118
ديفيد هارفي----------ص118
سكوت لاش----------ص119
قائمة المراجع----------ص120

قسم علم الاجتماع

التقديم:

يعتبر مقياس النظريات السوسيولوجية الحديثة من أهم المقاييس المبرمجة في السنة ثانية علم الاجتماع كونه له اتصال وثيق بمنهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، لأنه يتناول جملة من أهم النظريات في حقل الدراسة الاجتماعية وتعتبر نظرية الوضعية لأوغست كونت والماركسية لكارل ماركس والبنائية الوظيفية من كبرى النظريات التي كان لها إسهام كبير في تطور الدراسات والأبحاث الاجتماعية والتي كانت الأرضية الممهدة لمختلف الاتجاهات النظرية التي يزخر بها البحث الاجتماعي، فالنظرية تعد الأرضية الخصبة لمختلف البحوث كما أنها القالب الذي يصب فيه الباحث جميع معطياته البحثية لأجل الخروج بنتائج لها قابلية التعميم، فهي الداعم والموجه لكل خطوات البحث العلمي.

قمت بتدريس هذا المقياس طيلة ثلاث سنوات ابتداءا من السنة الجامعية 2024/2023 والسنة الجامعية 2025/2024 ثم السنة الجامعية 2026/2025 حيث عملت على تقديم محاضرات هذا المقياس في السداسيين بشكل مبسط لكي يتسنى لطلبة السنة ثانية فهمه بشكل أعمق، خاصة وأنهم دائما يشتكون منه ويجدون صعوبة في فهم فحوى النظرية في حقل علم الاجتماع، كما أنهم حديثو عهد به لأنهم لم يتعمقوا بعد في فهم معنى وعمل ودور النظرية في الدراسة الاجتماعية، كانت طريقة تقديم هذا المقياس من خلال كحاولة تقريبه وكيفية تجسيده على أرض الواقع خاصة مع الأعمال الموجهة لهذا المقياس ساهم كل هذا في إزالة الغموض الذي يكتنف ذهن الطالب حول نظريات العلوم الاجتماعية خاصة وأن السداسي الأول كان يعنى بالبحث في كبرى النظريات في حقل علم الاجتماع وهذا ما زاد من تخوف الطلبة، لكن السداسي الثاني كان أكثر مرونة لأنه تناول نظريات أو اتجاهات نظرية لها صلة مباشرة بعمق الواقع اليومي المعاش، كما عملت على توضيح جملة المفاهيم المتعلقة بكل نظرية خاصة وأن لكل نظرية مفاهيمها ومصطلحاتها الخاصة بها دون غيرها مع توضيح لاهم المناهج والأدوات البحثية التي تخص كل نظرية، وهذا لأجل أن يكون الطالب قادرا على تطبيق النظريات الاجتماعية على بحوثه ودراساته.

/لسداسي الأول

المحاضرة الأولى: ماهية العلوم الاجتماعية:

أولا: مفهوم العلوم الاجتماعية:

1- **تعريف العلوم الاجتماعية والإنسانية:** حسب وجهة نظر "موريس أنجرس": يعتبر الإنسان موضوع الدراسة في هذه العلوم والهدف من ذلك هو معرفة وفهم الإنسان ومعنى أو دلالة أفعاله، تشتمل هذه العلوم التي كانت تسمى في السابق بعلوم الإنسان ثم لاحقا بالعلوم الاجتماعية على فروع عديدة تقوم بدراسة الإنسان من جوانب متعددة،(أنجرس.م، 2004، ص 58)

إن طبيعة عمل العلوم الاجتماعية يختلف عن العلوم الطبيعية لأننا نتعامل مع كائن يتحدث يتجاوب ويتفاعل مع أمثاله ويمتلك وعيا ومقدرة على التعلم والفهم لهذا فالتعامل مع الموضوع ينبغي أن يكون مصحوبا بحذر وعناية.

إن علم الاجتماع لا يقتصر على دراسة جانب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية وإنما يتناول العديد منها متمثلا في البناء الاجتماعي، النظم الاجتماعية، العلاقات الاجتماعية، المجتمعات الإنسانية وعوامل نشأتها وتطورها، الظواهر الاجتماعية، وكذا دراسة الثقافة وتأثيرها وتأثرها بالحياة الاجتماعية.

إذن فالعلوم الاجتماعية هي التي تعنى بدراسة الكائن البشري في تفاعلاته وعلاقته مع غيره ضمن مجتمعه، وكذا تهتم بالبحث في طبيعة المشكلات الاجتماعية وسبل حلها والتقصي عن الظواهر الاجتماعية المختلفة.

كما يعرف علم الاجتماع بأنه:

هو علم دراسة الظواهر الاجتماعية أو النظم الاجتماعية أو التفاعل الاجتماعي أو العلاقات الاجتماعية وما إلى ذلك.

2- أهمية العلوم الاجتماعية: تتمثل في:

- تساعد دراسة علم الاجتماع الفرد على إدراك احتياجاته كإنسان وفهم طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بينه وبين الآخرين.

– يمد علم الاجتماع المشتغلين بالسياسة الاجتماعية بالمعرفة الشاملة عن المجتمع الذي يخططون لنموه الاجتماعي والاقتصادي بما يسمح بوضع خطط تنموية مستقبلية على أساس واقعي موضوعي.

– تسهم دراسة علم الاجتماع في تصحيح مفاهيمنا عن العالم المحيط بنا فكثيرا ما يميل الفرد إلى الاعتقاد بمفاهيم معينة نتيجة تجربة شخصية ويعممها على الجميع.

– تسهم دراسة علم الاجتماع في فهم أسباب المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها مجتمعات العالم الثالث في ضوء دورها في عملية تقسيم العمل الدولي والتبعية لدول المحيط الرأسمالي.

3 – أهداف العلوم الاجتماعية: تتمثل في:

– دراسة وتفسير الظواهر والمشكلات الاجتماعية التي تنتشر في المجتمع في ضوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية السائدة، والكشف عن دور العوامل الاجتماعية في توجيه سلوك الفرد في الموقف الواحد.

– الوصول إلى القوانين التي تحكم سلوك الأفراد في المواقف المختلفة وكيف تختلف ردود الأفعال من مجتمع إلى آخر باختلاف الثقافة السائدة.

– تصحيح المفاهيم لبعض القضايا المحيطة بنا والتي نعتقد أنها تمثل حقائق ولكنها في الحقيقة ليست كذلك بل تعكس وجهة نظر فئة معينة فقط في المجتمع أو تكون مبنية على معلومات خاطئة أو غير كاملة.

4 – موضوع علم الاجتماع: إن علم الاجتماع معني بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية، فموضوعه الأساسي هو دراسة سلوكنا ككائنات اجتماعية في مختلف مناحي الحياة وبذلك فهو معني بتتبع القضايا الإنسانية وما يطرأ عليها من تغيرات خاصة ونحن نعيش في عالم متسارع التغير، ويمكن أن نلخص مجالات علم الاجتماع في:

– إنه علم دراسة السلوك الإنساني.

– إنه علم دراسة التفاعل الاجتماعي.

– إنه علم دراسة النظم الاجتماعية.

- إنه علم دراسة البناء الاجتماعي.

- إنه علم دراسة الظواهر الاجتماعية.(حامد.خ، 2015، ص 13)

ثانيا: نشأة علم الاجتماع:

لم ينشأ علم الاجتماع في الغرب من فراغ وإنما نشأ نتيجة لأزمة حادة عايشها الإنسان الأوروبي صاحبتها ثورات فكرية وسياسية هزت دعائم المجتمع التقليدي في أوروبا وحثت العلماء للبحث في أسباب تفكك النظام ومن ثم العمل على تثبيت استقراره، بمعنى أن نشأة علم الاجتماع مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود أزمة ذات جوانب مادية وفكرية واجتماعية عايشها المجتمع الأوروبي.(عبد الحميد عبد الجبار.ن، 2009، ص 192)

يقول أوغست كونت: "لا تتيسر معرفة معنى من المعاني معرفة جيدة إلا بالإطلاع على تاريخه"، إن الفكر الاجتماعي كأي فكر له مجموعة من الأحكام فهو يجمع بين ثناياه الأحكام التقديرية والأحكام التقويمية وبين الأحكام التحليلية والتركيبية، وتختلط فيه المعرفة البسيطة بالمعرفة الحدسية غير المبرهن عليها أو بالتي تعتبر حدسية وهي ليست كذلك، كما تفتقد في كثير من الأحيان منهجا يتناسب مع خصائص الظاهرة المدروسة، وما وجد في الفكر الاجتماعي مخالف لخصائص المعرفة العلمية والبحث العلمي، ولم يكن الانتقال بالمعرفة الاجتماعية إلى حال علم الاجتماع بالأمر السهل فالناس لا يغيرون من أنفسهم بسهولة وهذا يسبب للباحث تحديات حقيقية يجب إيجاد حلول منهجية مناسبة للتغلب عليها، تطلب الانتقال من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع إيجاد شيء يمكن ملاحظته وقياسه والتجريب عليه مثلا هو الحال في العلوم الطبيعية كما تطلب في دراسة الظاهرة الاجتماعية تنظيما لمعرفتها على نحو مخصوص يتناسب مع مطلب العلم من جهة ويميز العلم الجديد من غيرهم ما قد يلتبس به.(شروخ.ص، 2005، ص 70-71)

المحاضرة الثانية: ماهية النظرية السوسيولوجية:

تمهيد:

تعتبر النظرية السوسيولوجية جزء أساسي من الحقيقة العلمية في حياتنا اليومية، وهي الأساس الكامن وراء كل مذاهب المعرفة الإنسانية، وكل تفسير لأنماط السلوك المختلفة التي يسلكها الأفراد والجماعات داخل البناءات الاجتماعية المتعددة والمتباينة في كل مظاهر النشاط الاجتماعي المميز في حياتنا اليومية، وعالم الاجتماع في تفسيره لظواهر التفاعل الإنساني في الحياة داخل إطار النسق القيمي الذي يتضمن مجموعة المعايير والقيم التي يستلهمها الأفراد والجماعات في بيئة اجتماعية معينة على ضوء افتراضات تحاول تفسير الأفكار السائدة داخل أنماط البناءات الاجتماعية المختلفة المستمدة من نتائج بحوث ودراسات سابقة تفسر طبيعة هذه البناءات والخصائص المميزة لها، ولقد تبلورت النظريات السوسيولوجية المعاصرة من خلال تميز الفكر السوسيولوجي المعاصر، أهمها: النظرية الوضعية والوظيفية، النظرية المادية التاريخية والنظرية التفاعلية الرمزية، ...الخ، وتتضمن كل من هذه النظريات بناءات فرعية تختلف باختلاف الاتجاهات الفكرية التي تميز فكر علماء الاجتماع في مدارسه المعاصرة بمختلف اتجاهاتهم وفلسفاتهم التي ينطلقون منها في تفسير الظواهر الاجتماعية، ولا تخلو العديد من النظريات من اعتبارات تبريرية وأيدولوجية لأنها تنطلق من خلفيات للواقع الاجتماعي، إلا أنها لا تخرج عن نطاق ميدان هذا العلم وذلك على اعتبار أنها تعالج جوانب معينة من الحياة الإنسانية مما يساعد في النهاية على تكاملها في فهم وتفسير الواقع الاجتماعي لأنها تعالج قضايا ومفاهيم تشكل في النهاية موضوعات هذا العلم، كما أنه يجب النظر إلى هذا التراث النظري في سياقه التاريخي والاجتماعي لأنه يعكس فترة تاريخية بكل تجلياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من جهة، كما أنه يمثل استجابات لاتجاهات نظرية معينة وهذا ما يشكل في حد ذاته باعثا لتطوير النظرية وإثرائه، فضلا على أن نسبة الظواهر الاجتماعية وقابليتها للتغيير والاختلاف تفرض بدورها تطوير النظرية بما يتلاءم مع الحقائق الاجتماعية ويستوعب قضايا المجتمع ويمكّن من إيجاد تفسير علمي لها.

أولا: ماهية النظرية السوسيولوجية:

1- تعريفها:

1-1 **تعريف النظرية:** تستخدم النظرية للإشارة إلى كل ما هو مجرد وقائم على التصورات فالمفاهيم التي تتضمنها القضايا النظرية هي رموز تشير إلى أشياء وظواهر تتحقق في العالم الخارجي، والنظرية العلمية ليست نطاقا للتفكير المجرد وإنما تشير إلى العلاقات المتبادلة بين الأشياء، أو هي الأداة التي تنظم هذا الواقع فيصبح ذات معنى ودلالة معينة.

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف
قسم علم الاجتماع
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

والنظرية محاولة ذهنية يسعى الباحث فيها إلى تنظيم وتنسيق المعرفة للإجابة عن السؤال لماذا؟ كما أنها تنظم وتوضح كيف تبنى القوانين والمبادئ والحقائق في مجال دراسة أو بحث ما.(العدوان.ز، وداود.أ، 2016، ص22)

يعرفها " تيماشيف": على أنها مجموعة من القضايا المستندة إلى أفكار محددة ومنسقة مع بعضها، وأن تكون في صورة تساعد على اشتقاق التعميمات الاستقرائية بحيث تؤدي تلك القضايا التي عليها النظرية إلى قدر وافر من الملاحظات والتعميمات التي تخدم المعرفة وتثريها وتوسع من نطاقها.(حامد.خ، 2015، ص 96)

فالنظرية إذن هي تفسير لمجموعة من الجهود المتراكمة والمتجمعة للباحثين والعلماء الذين يخصصون في علم معين إلى صياغة لمجموعة كبيرة من التعميمات التي تنتمي إلى نماذج متعددة ومختلفة.

2-1 النظرية السوسيولوجية: هي مجموعة من المعرفة العقلية الخالصة المرتبطة منهجيا ومنطقيا، وذلك في مقابل التعميمات التجريبية، فالنظرية ضرورة ملحة للباحث الاجتماعي وهي الأرضية الرئيسية لتأسيس علم هو لبناء معرفة علمية.(تيماشيف.ن، 1983، ص 85)

هي مجموعة من المفاهيم المترابطة بشكل متناسق مكونة قضايا نظرية تهتم بشرح قوانين ظاهرة اجتماعية معينة تمت ملاحظتها بشكل منتظم وصيغت بشكل منطقي عل شكل قضايا مترابطة ومستخلصة الواحدة من الأخرى.(بيومي.م، 2020، ص60)

ويعرفها "روبرت ميرتون": على أنها مجموعة من التصورات المترابطة منطقيا، وهي عبارة عن علاقات تصورية بين مجموعة من المتغيرات يتم في ضوئها تفسير فئة الاطراد التي يمكن تحديدها بشكل تجريبي فهي إذن تصور أو بناء منطقي علمي يفسر ظاهرة أو ظواهر اجتماعية متعددة.(بوجلال.م، 2015، ص39)

والنظرية السيوسيولوجية" هي مجموعة من القضايا أو المفترضات أو العبارات العلاقية النظرية، وهي بناء متكامل يضم مجموعة من تعريفات واقتراحات وقضايا عامة تتعلق بظاهرة معينة يمكن أن يستنبط منها منطقيا مجموعة من الفروض القابلة للاختبار، كما أنها بناء متكامل يضم مجموعة مترابطة من المفاهيم.

فهي إذن نسق منطقي استنباطي استقرائي يتكون من المفاهيم وتعريفات وافتراضات تعبر علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة ويمكن أن يشتق منها فرضيات يمكن التحقق من صحتها أو خطئها.

2- نشأة النظرية السوسيولوجية :

إن المتتبع التاريخي للتراث النظري في علم الاجتماع يستطيع أن يلمس الثراء النظري الذي يعكس جهود العلماء والمفكرين لفهم الظواهر الاجتماعية والكشف عن طبيعة الواقع الاجتماعي بصورة جعلت فهم هذا التراث النظري من أهم القضايا التي شغلت علماء الاجتماع أنفسهم، بغية استجلائه واستخلاص معالم النسق الفكري لهذا العلم، وتفسير ذلك هو طبيعة موضوع علم الاجتماع في حد ذاته والاتجاهات والمرجعيات التي ينطلق منها هؤلاء ونظرتهم للطبيعة البشرية والعوامل المتحكمة في سلوك الإنسان إذ نجد من يعتبر أن علم الاجتماع يدرس البناء الاجتماعي مما يعني الاهتمام بالقضايا الكلية والتأكيد على أهمية البناء والمؤسسات بوجه عام في بلورة الواقع الاجتماعي، وهذا ما نلمسه في الاتجاه البنائي الوظيفي والماركسي رغم اختلافهما في فهم وتفسير ظواهر المجتمع، في حين تذهب اتجاهات أخرى إلى اعتبار الوحدات الجزئية المرتبطة بواقع الفاعلين الاجتماعيين هي وحدة التحليل السوسيولوجي الأساسية، وتعطي دورا أكبر للوعي والثقافة والتفاعل والفعل، كما أنه يجب النظر إلى التراث النظري في سياقه التاريخي والاجتماعي لأنه يعكس فترة تاريخية بكل تجلياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من جهة، كما أنه يمثل استجابات لاتجاهات نظرية معينة، وهذا ما يشكل في حد ذاته باعثا لتطوير النظرية وإثرائها، فضلا على أن نسبية الظواهر الاجتماعية وقابليتها للتغير والاختلاف تفرض بدورها تطوير النظرية بما يتلاءم مع الحقائق المجتمعية ويستوعب قضايا المجتمعات ويمكن من إيجاد تفسير علمي لها يتماشى مع المنطق العلمي ذاته.(حامد.خ، 2015، ص 95-96)

وقد كانت النظرية السوسيولوجية متعلقة بالدراسات الفلسفية والسياسية وأنها ستعمل أول مرة في جامعة أكسفورد للتعبير عن نظرية الدولة، حيث اهتمت النظرية بدراسة أصل نشوء الدولة الحديثة من التبريرات الفلسفية للأشكال التي تتخذها، إذن كان المقصود باصطلاح نظرية اجتماعية كل ما يتعلق بالمجادلات

والنعوت والألفاظ التي دارت حول التنظيمات والقوانين السياسية، أما الدراسات التي تتعلق بالنظرية الاجتماعية فتهتم بأفكار وكتابات علماء ومفكرين سياسيين واجتماعيين.

والنظرية السوسيولوجية تشير إلى النسق الكلي للتفكير النظري في علم الاجتماع بما فيه من نظريات كبرى أو متوسطة المدى أو النظريات الصغرى، وبما فيه من اتجاهات منهجية أساسية للنظريات الاجتماعية والتي تحدد موازينها السوسيولوجية أبعاد التصور السوسيولوجي للتناول والتفسير، ولعالم الاجتماع أن يتفهم الواقع الاجتماعي ويفسره من خلال نظرية سوسيولوجية تعتمد في بنائها على نتائج دراسة امبريقية لهذا الواقع الذي يشمل كل ما أنتجه فكر الإنسان من قواعد للتنظيم وثقافة تعكس صورة ذلك الواقع.

استمدت النظرية السوسيولوجية أسسها ومبادئها من العلوم الأخرى كالطبيعة والكيمياء والبيولوجيا هذا لأجل أن يكتسب نفس قدرتها وكفاءتها في تناولها لمعطياتها، ونظر علم الاجتماع فوجد أن هذه العلوم تمتلك نظريات ومنهجية خاصة تستعين بها في تناولها لهذه المعطيات، لذلك كرس جهده لبنائها ذلكل أن المصطلحات والمفهومات النظرية تلعب دورا أساسيا في توجيه البحث والملاحظة وترشيد الوصف، كانت البدايات الأولى للنظرية عبارة عن وجهات نظر أو فلسفات خاصة ثم أخذت في التطور وأصبحت تسمى بالمدارس السوسيولوجية وأخذت تبنى النظريات بشكل أكثر دقة حتى أن بعضا منها بنيت على نقد النظريات السابقة.

3- **شروط بناء النظرية السوسيولوجية:** لبناء نظرية شاملة متكاملة تهدف إلى فهم وتفسير الظواهر والعلاقات والارتباطات داخل البناء الاجتماعي لا بد من توفر جملة من الشروط تتمثل في:

- ينبغي أن تكون المفاهيم التي تعبر عن القضايا محددة بدقة: أي استبعاد كل المصطلحات الغامضة وغير الواضحة، فالوضوح والدقة ضروريان في النظرية ومكوناتها .
- يجب أن تتسق القضايا الواحدة مع الأخرى، وكذا الشمول بمعنى أنها تفسر أكبر عدد من الظواهر كما تشتمل على جميع الحقائق الفرعية وتعمل على تفسيرها.
- أن توضع في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا.
- أن تكون هذه القضايا خصبة ومثمرة تستكشف الطريق للملاحظات أبعد مدى وتعميمات تنمي مجال المعرفة.

- أن تكون معبرة عن الواقع ومرتبطة به وقابلة للاختبار.
- القدرة على التنبؤ فالوصف والتفسير وحدهما غير كافيان لا بد من التنبؤ.
- **المرونة:** من الضروري أن تخضع النظرية للتعديل والتغير والتطور.
- ضرورة إخضاع النظرية للبحث والتجريب.
- **الإيجاز:** أي موجزة ومختصرة في التعبير عن الحقائق التي تشتمل عليها وفي بيان الغرض الذي وضعت من أجله وأن تعبر عن مجموعة من المفهومات بطريقة دقيقة ومحددة.
- **التعميم والاستنباط:** أن تكون هذه القضايا قادرة على إثراء المعرفة العلمية، وأن تصاغ في شكل يمكن من التوصل إلى التعميم والاستنباط.
- **الانفراد:** أي أنها تنفرد بتفسير الحقائق التي تشتمل عليها وفي حالة وجود نظرية أخرى قد فسرت نفس الحقائق فهذا ما يضعف من الأهمية العلمية للنظريتين.

4- بناء النظرية: إن بناء النظرية يتألف من تعميمات مستخلصة من دراسة الواقع ومرتبة داخل نسق منطقي يسمح باستنتاج إحداها من الأخرى وتصبح النظرية على هذا النحو أعلى درجات المعرفة، ويتطلب بناء النظرية في علم الاجتماع عمليات عقلية أساسية أهمها:

- **التأسيس:** توافر العديد من القضايا النظرية ذات الصلة بالمشكلة.
- **تنظيم القضايا:** أي الترتيب المنظم والمحكم للتجربة.
- **الاشتقاق:** تأكيد كفاءة النظرية بإعادة اختبار قضاياها وإثباتها امبريقيا.
- **الإبداع:** وهو الخلق والتنظير والتجاوز الذي يتم وفق الأدلة المنطقية.(بوجلال.خ، 2015، ص41)

ثانيا: عناصر النظرية العلمية : للنظرية العلمية جملة من العناصر تتمثل في:

1- الملاحظة: هي وسيلة لجمع المعلومات من العالم المحيط بنا وأداة أولية في البحث العلمي فالعلم يبدأ منها وينتهي إليها؛ وهي نوعان: الملاحظة البسيطة الغير مقصودة / الغير مضبوطة (ملاحظة حسية)، والملاحظة العلمية المقصودة / المضبوطة (الملاحظة المنظمة) تخضع للضبط العلمي من ناحية موضوع الملاحظة وظروفها الزمنية والمكانية.

2- صياغة المفاهيم: تعتبر المفاهيم جزءا مهما من النظرية العلمية، طالما أنها تتكون من مجموعة أفكار مترابطة ترابطا منطقيا وجدليا، وهي أفكار ديناميكية قابلة للتغير والتحول تبعا لتبدل ظروف المجتمع الموضوعية والإيديولوجية، فالمفاهيم عبارة عن رموز لفظية مميزة تعطى لأفكار معممة تم تجريدها عن الملاحظة العلمية للمجتمع، من شروطها: الدقة، الوضوح، التجريب والاختبار.

3- الفرضيات: تعّد الفرضية تفسيرا مؤقتا أو محتملا يوضح العوامل أو الأحداث أو الظروف التي يحاول الباحث فهمها، وتصاغ في صيغة الإثبات أو صيغة النفي، من شروطها: قابلية الاختبار الإثبات الموضوعي والعلمي، الوضوح، عدم التناقض والازدواجية في الموضوع.

4- النموذج: وهو جهاز تصوري يحدد أنه إذا ما ترابطت مجموعة من العوامل المحدد بطريقة محددة، فإن ناتجا معينا يصبح متوقعا، فالنموذج ليس أكثر من تفسير لكنه يختلف عن التفسيرات المتعلقة بموضوعات خاصة في كونه منظما ومصوغا في مصطلحات أكثر وضوحا وصورية وعمومية، فالنموذج إذن عملية مساعدة أساسية في التحليل.

ثالثا: وظائف النظرية السوسيولوجية: تتمثل وظائف النظرية السوسيولوجية في:

- تحدد النظرية السوسيولوجية ميادين الدراسة وتعاون الباحث على فهم المجتمع البشري وخصائصه في صورة كلية مع إعطائه إطار اللبحث في مناطق معينة مما ييسر خلق اتصال بين مختلف النتائج والتفسيرات المتعلقة بالحقائق الامبريقية المتباينة.
- تقدم عدد كبير من المفاهيم والمصطلحات الفنية التي لا غنى عنها لأي علم من العلوم وللمفاهيم نوعين يعرف أولهما بالمفاهيم الوصفية وهي التي تتناول موضوع النظرية كمفهوم الانتحار ويعرف الثاني بالمفاهيم العلمية أو الواقعية ومن أمثلتها معدل الانتحار.
- تلخيص الوقائع وتلخيص العلاقات بينها وتصنيفها وإيجاد العلاقات والربط بينها في إطار علمي متكامل.
- تساعد على التنبؤ بما يمكن أن يحدث لأن أساس التنبؤ هنا هو الانتقال من الحالات المعلومة إلى الحالات المجهولة أو الحالات المشابهة.
- الاستفادة من النظرية في مجال التطبيق والتحليل والتفسير لأن التقدم العلمي يتمثل في الإمداد التدريجي لنطاق التحليل الديناميكي ويشكل التفسير المرحلة الثالثة للعملية العلمية التي تؤدي

النظرية في إطارها دورا هاما واستخدام النظرية في عملية التفسير يكون بالاستشهاد على وجود علاقة معينة بين متغيرين وتطوراتها المستقبلية ثم طبيعتها الأساسية بالنظر إلى طبيعة النسق النظري.

- تكشف النظرية عن مدى القصور في المعارف العلمية وبتلخيصها للحقائق العلمية تشير إلى النواحي التي لم تبحث من قبل وهذه النواحي قد تكشف عن حقائق لها دلالتها العلمية إذ خضعت للبحث العلمي الدقيق.(بوجلال.م، 2015، ص 45-46)
- تحديد أطر توجيهية عامة يسترشد بها في تفسير الواقع وتناوله بالدراسة والتحليل في صورة كلية.
- تطوير مفاهيم علم الاجتماع والتي تعد أساسية له كعلم.
- تسهم في صياغة التعميمات والوصول إلى القوانين العلمية.
- تساعد على عملية التوقع.

رابعا: أنواع النظرية السوسيولوجية: يوجد أربعة أنواع من النظريات تتمثل في:

1- **نظريات قريبة المدى:** التي تتصف بالصفات الآتية:

- تتميز بدراسة وحدات صغيرة في المجتمع مثل الفرد أو الجماعة الصغيرة أو التفاعل الاجتماعي أو الطلاق أوالجريمة.
- دراسة السلوك الإنساني وإبراز الجانب النفسي في دراستها.
- طرق بحثها ميدانيا وتجريبيا فمواضيع بحثها سهلة الملاحظة والسيطرة عليها.

2- **نظريات ذات المدى المتوسط:** التي تتصف بالصفات التالية:

- تتناول مواضيع دقيقة ومهمة وصعبة في دراستها مثل شروط الديمقراطية أو الحرية أو الأنواع المتباينة لإشكال الطبقات في المجتمعات الحديثة.
- تنطلق من مساحات واسعة من الحياة الاجتماعية في دراستها مثل المؤسسات الاجتماعية أو التنظيمات الاجتماعية.

3- **نظريات ذات المدى البعيد:** وتتصف بالتالي:

- شمولية في دراستها للمجتمع، وحدات دراستها كبيرة مثل السكان والمؤسسات الاجتماعية والتطور الاجتماعي.

- مواضيع دراستها تكون صعبة الملاحظة ويصعب السيطرة عليها، تهتم بدراسة حقل كامل من حقول علم الاجتماع.

4 – النظريات القاعدية الأرضية: التي تدرس الحياة الاجتماعية اليومية، تطرح قضايا ومفاهيم بأسلوب سلس يفهمه عامة الناس، تتناول مواضيع متنوعة من وجوه الحياة غير متخصصة بحقل واحد من حقول علم الاجتماع .(بوجلال.م، 2015، ص49- 50)

خامسا: الأنماط الرئيسية للنظرية : تنقسم النظريات إلى عدة أنماط أو طرق حسب طبيعة الموضوع المدروس ومن أهم هذه الطرق نجد:

1- **النظرية العلمية:** إنها قضية تقريرية أمبريقية شاملة تؤكد الارتباط العلّي بين اثنين أو أكثر من نماذج الأحداث أو الوقائع، وتعني العلية هنا أنه يجب أن تصرح بأن هناك بعض الظروف الكافية لحدوث أنواع معينة من الأحداث، أو أن هناك بعض الظروف ضرورية لحدوث هذا النوع من الأحداث، وتتميز بالشمول والعمومية والقدرة على التنبؤ.

2- **النظرية التحليلية:** مثل تلك النظريات الخاصة بالمنطق والرياضيات والتي تقرر شيئا عن العالم الخارجي، لكنها تتكون من مجموعة من القضايا التقريرية والبديهية التي تحدد صلاحيتها على ضوء التعريف، والتي تشتق منها قضايا تقريرية أو أحكام أخرى ولا تحدد شيئا متعلقا بالواقع.

3- **النظرية المعيارية:** هي تلك التي تبلور مجموعة من الحالات المثالية التي يتطلع إليها الإنسان، وهذا النوع من النظريات يشير إلى تلك النظريات الخاصة وعلم الجمال، والتي غالبا ما تدمج أو تقترن بالنظريات ذات الطبيعة غير المعيارية لتكون ما يعرف باسم الايديولوجيا أو المبادئ الفنية.

4- **النظرية البرنامجية:** يمثل هذا النوع من النظريات الذي لا يقبل الاختبار بطريقة دقيقة على الرغم من أنها قد تخضع للتقدير المعقول، وهذه تكون بمثابة مسلمات مفيدة لها دور أساسي في مجال الاقتراحات والبرامج، أو قد تمدنا بطرق البرهنة التفسيرية التي تستخدم في اختبار أكثر النظريات دقة، أو قد تجعل الملاحظ حساسا لنوع من العوامل المفيدة في تفسير ظواهر معينة.(بوجلال.م، 2015، ص 48-49)

سادسا: أهمية النظرية السوسيولوجية وعلاقتها بالبحث العلمي:

1- **أهمية النظرية السوسيولوجية:** تتمثل أهمية النظرية في كوننا نقرأها لا لنفهمها ونطورها فحسب بل لأن النظرية تمثل نمط البناء المعرفة العلمية وضرورة لكل ملاحظاتنا، إنها الشرط الضروري لانطلاق التفسير والتحليل وأن صياغة النظريات العلمية وتصوراتها وتنظيماتها إنما تتحكم فيه مجموعة من الفرضيات والمفاهيم، والنظرية السوسيولوجية هي نسق منطقي استنباطي استقرائي يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراضات تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة ويمكن أن يشتق منها فرضيات يمكن التحقق من صحتها أو خطئها.

تكشف النظرية عن مدى القصور في المعارف العلمية وبتلخيصها للحقائق العلمية تشير إلى النواحي التي لم تبحث من قبل وهذه النواحي قد تكشف عن حقائق لها دلالتها العلمية إذ خضعت للبحث العلمي الدقيق تساعد على التنبؤ بما يمكن أن يحدث.

2- علاقة النظرية السوسيولوجية بالبحث العلمي: تتحدد علاقة النظرية بالبحث العلمي من خلال قيامها:

- بمساعدة الباحث على لمس المتغيرات أو العناصر الهامة في نطاق دراسته، كما أنها تساعد في توفير إطار عام متسق وموجه للبحث.

- كما أنها توفر اللغة المشتركة للاتصال بين مختلف الباحثين.

- تساعد على كشف الثغرات في المعرفة تلك التي تحتاج إلى بحوث لاستكمالها.

- تشكل إطارا منظما تشتق منه قضايا البحث وفروضه.(ليلة.ع، 1982، ص 14-16)

- كما أن لها دور مهم يهدف إلى ضمان السيرورة الجيدة للبحث العلمي، ويتمثل دور النظرية في البحث العلمي في أنها:

- إن علاقة النظرية بالبحث العلمي علاقة تأثير وتأثر متبادلة، ويعد البحث الاجتماعي أحد آليات النظرية الاجتماعية وبواسطته تستطيع النظرية أن تبرهن على أحد أهدافها أو قوانينها التي تريد الوصول إلى صياغتها أو توسيع مفاهيمها أو تحويل نصوصها إلى قضايا ناضجة أو مختصرة بعبارة أخرى.

- تحدد للباحث مجالا للتوجيه، يستطيع في ضوئه أن يختار من المعلومات ما يصلح للتجريد.

- تقدم النظرية الإطار التصوري الذي ينظم ويصنف الظواهر ويعين العلاقات المتبادلة بينها.

- تلخيص الوقائع في صورة تعميمات تجريبية وفي نسق منطقي يتضمن طائفة من التعميمات.

- تعتبر النظرية أداة للتنبؤ بالظواهر

- تحدد مختلف الثغرات ومواضع النقص في المعرفة.

أما بالنسبة للوقائع والظواهر والأحداث الاجتماعية فإنها المنبع الرئيسي الذي تبنى عليه النظرية السوسيولوجية ويتمثل دورها في:

- الوقائع مصدر للإلهام بالنسبة للنظريات.

- تسهم الوقائع في إعادة صياغة النظريات.

- تعمل على تغيير مجرى اهتمام النظرية.

- توضح الوقائع النظرية وتعيد تعريفها.

- توجيه الملاحظة والمشاهدة فهي أساس لمرحلة التصور.

- تنظيم النتائج التجريبية وتضفي عليها معنى في المرحلة التفسيرية أي تعطي صورة تنظيمية للواقع الاجتماعي.

- تحفز العقل أو الفكر العلمي على خلق وإبداع تفسيرات جديدة للمشكلات .(بوجلال.م، 2015، ص 46-47)

ومنه فإن علاقة النظرية بالبحث العلمي تتمثل في:

- توجه النظرية البحث نحو موضوعات مثمرة.

- تضفي النظرية على نتائج البحث دلالة ومغزى إذ تعمل على تسهيل إدراك النتائج التي يصل إليها البحث باعتبارها جزء من قضية بالغة التجريد أكثر منها أجزاء منعزلة.

– تنطوي النظرية على توجيهات عامة تمدنا بالسياق الذي يجري البحث في نطاق إذ تشمل مثل هذه التوجيهات على المسلمات المتعلقة بنماذج التغيرات التي يجب أن تأخذها في الاعتبار أكثر مما يشير إلى العلاقات القائمة بين هذه المتغيرات.

– توجه مفاهيم النظرية وتصوراتها عملية جمع وتحليل معطيات البحث(أنها علاقة جدلية لا يمكن فيها استغناء أحد الأطراف عن الطرف الآخر لأنه كلاهما معتمد على الثاني).

كما أن للبحث العلمي دور وأثر في النظرية يتمثل في:

– **يسهم البحث في تطوير النظرية:** من خلال التأكد من صحة البراهين من عدمها، فإن أثبتت صحتها فهذه نظرية دقيقة أما أن اختلفت النتائج فالبد من إعادة ضبط النظرية.

– **التخطيط لتطوير النظرية:** من خلال إعادة بناء تصورات جديدة واحتمالات بديلة .

– **الصدفة في تطوير النظرية:** وذلك من خلال ملاحظة وقائع غير عادية أو غير متوقعة أو إستراتيجية يفيد في تقديم فروض نظرية جديدة أو في توسيع نطاق نظرية قائمة .

– **يسهم البحث في إعادة صياغة النظرية:** ويعمل على إعادة صياغة النظرية وتوسيع نطاقها عن طريق الملاحظة المتكررة للواقع التي لم تكن متضمنة في الإطار التصوري والتي قبل أن يهتم بها في التحليل .

– **يسهم البحث في إعادة تحديد محور اهتمام النظرية:** عندما يبتكر البحث أساليب وإجراءات جديدة يستعين بها في تجميع الوقائع وتحليلها فإنه قد يتغير محور اهتمام النظرية نحو البحث ثانية نحو مجالات تزيد من إجرائها وتتوافر البيانات والوقائع حول هذه المحاور التي تغيرت نحوها النظرية .

– **يسهم البحث في توضيح مفاهيم النظرية:** على الرغم من أن المفاهيم المحددة يمثل أهمية كبيرة في علم الاجتماع إلا أنه يؤخذ على كثير من البحوث في العلم أنها عنيت أساسا بتصميم البحوث وتناول العلاقات النسبية بين المتغيرات وقل اهتمامها عملية توضيح المتغيرات الجوهرية وتحليل المفاهيم في ضوء عناصرها التصورية.(محروس.م، 2004، ص 194– 213)

المحاضرة الثالثة: النظرية الوضعية الكلاسيكية:

أولا: مفهوم الوضعية:

1. تعريف الوضعية:

تدل الكلمة في اللغة اللاتينية على ميدانين علميين هما: الواقع والاستعمالية وهو فعل مرتبط بحقيقة الأشياء وبعلاقة ملموسة بين الذات والموضوع.

معنى الوضعي " إن الوضعي من الأشياء ماوضعه الله أو ما وضعه الخلق، ويؤكد " ليبنتز " هذا المعنى في قوله: أن حقائق الفعل قسمان: قسم يسمى بالحقائق الأبدية، وهي مطلقة وضرورية، أي أن معارضتها تفضي إلى التناقض، وقسم يمكننا أن نسميه بالحقائق الوضعية لأنها قوانين أراد الله أن يهبها للطبيعة، ونحن ندرك هذه الحقائق بالتجربة، أي بطريقة بعدية، أو بالعقل أي بطريقة قبلية.

والوضعي من الأشياء أيضا هو ماكان متحققا في عالم الحس والتجربة وإن كانت أسبابه القصوى وقوانينه التي شرعها الله وفرضها على الطبيعة مجهولة لدينا.(المصري.خ، 2014، ص 78)

وقريبا من هذا المعنى أطلق لفظ " وضعي " في فلسفة " أوجست كونت " على الواقعي والفعلي المستقل عن معنى الشرع الإلهي، والوضعي بهذا المعنى مرادف للحقيقي والتجريبي، ومقابل للتأملي والخيالي والوهمي، والحالة الوضعية في قانون الحالات الثلاث مقابلة للحالة اللاهوتية والميتافيزيقية(بوجلال.م، 2015، ص 53-54).

هذا المعنى يؤكده أوجست كونت في قوله : "إن لفظ الوضعي يدل على الحقيقي، المقابل للوهمي وهو مواقف من هذه الجهة للروح الفلسفية الجديدة، وهي الروح التي تتميز بارتباطها الدائم بالبحوث التي يستطيع عقلنا أن يطلع عليها.

أما من زاوية المعرفة: الوضعي ما هو معطى، ما يقدمه الاختبار على سبيل الأمر الواقع، أما في الأخلاق : لفظ وضعي يدل على ما له مضمون حقيقي أو على ما لا يكون فقط لهدم أطروحة لعقيدة أو لمؤسسة قائمة، وعموما فالوضعي يفيد التنظيم أو النظام لا التحطيم والفوضى، والمدرسة الوضعية أو المذهب الوضعي اسم يطلق على المذهب الذي أسسه أوغست كونت والحركة التي قام بها وكذلك على الاتجاه الفلسفي العام الذي لا تعد وضعية كونت إلا مثالا واحدا من أمثلتها الكثيرة، والوضعية بالمعنى

العام هي الرأي القائل بأنه مادامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية ولا تتقدم إلا بالملاحظة والتجربة فإن المحاولات التأملية أو الميتافيزيقية لاكتساب المعرفة عن طريق العقل غير المحدود بالخبرة لا بد أن يتخلى عنها لصالح مناهج العلوم الخاصة.(شروخ.ص، 2005، ص 151)

مفهوم هربرت ماركيوز: "يختص علم الاجتماع الوضعي ببحث الوقائع بدلا من الأوهام المتعالية، وبالمعرفة النافعة بدلا من التأمل العقيم، وباليقين بدلا من الشك والتردد، وبالتنظيم بدلا من السلب والنفي، وفي كل هذه الحالات ينبغي على علم الاجتماع الجديد أن يرتبط بحقائق النظام القائم".

2. نشأة الوضعية: إن الاتجاه الوضعي قديم في التفكير الإنساني، حيث يضرب بجذوره التاريخية والفكرية في التاريخ الأوروبي لمرحلة ما قبل الثورة الفرنسية بكثير، ولكنه لم يكتمل كنسق نظري متميز إلا بعدما نشر أوغست كونت كتابه الموسوم: "دروس في الفلسفة وبالرغم من أن الوضعية ترتبط إلى حد كبير بهذا العالم، فإن البناء النظري لها يرجع إلى إسهامات كل من سان سيمون في فرنسا، وإسهامات فريديريك شلنغوشتال في المانيا.

2.1 : الأسس الفلسفية: تشكلت الوضعية كنسق متميز في تلك المرحلة اللاحقة للفلسفة النقدية السالبة كفكر له موقفه الايجابي من الواقع، لذلك تعرف عادة باسم الفلسفة الايجابية، وللحديث عن النظرية الوضعية في علم الاجتماع يستوجب الأمر الأخذ بعين الاعتبار بعدين أساسيين كالتالي :

- **البعد التاريخي العمودي:** يمثل الجذور والروافد الفكرية للوضعية.

- **البعد الفكري الأفقي:** يمثل الواقع الاجتماعي بجانبيه الفكري والمادي أو الأنساق الفكرية السائدة في تلك الفترة.

2.2 : الأسس السوسيولوجية: تأسست الفلسفة الوضعية على يد العالم "أوغست كونت" (1798-1857)، الذي كان مفتونا بنشوة المجتمع الصناعي والعقلانية العلمية، وفي سبيل تصور هذا المجتمع الجديد البارز، أراد أن يؤسس علما لما هو اجتماعي، سيدعوه "السوسيولوجيا".

تأسست الوضعية أو علم الاجتماع عند كونت كمرحلة لاحقة للفلسفة النقدية السالبة، وتعرف الوضعية بالإيجابية لكونها تتخذ موقفا ايجابيا من الواقع الراهن وذلك بعدم محاولة رفضه مثلما يفعل التنويريون، والتحول من نفي الواقع إلى الإيمان به والرغبة في تنظيمه، وهي أيضا وضعية لأنها ترضى بما هو قائم

وتحاول تنظيمه على أساس من الإدراك المنظم للعقل الباحث أي بواسطة العلم، وهي نظرية محافظة أي غير ثورية في نظرتها لتغيير المجتمع.

2.2 فلسفة فرنسيس بيكون:

يرى هذا العالم أن العلم لا بد وأن يقوم على دعامتين وهما الملاحظة والتجربة ولهذا وضع معالم منهجية للوصول إلى إصلاح الفكر بوضع تصنيف للعلوم الموجودة، تقرير المبادئ الأساسية لتفسير الطبيعة، جمع المعطيات التجريبية من المشاهدة، إجراء التجارب، استخدام الاستقراء، تقديم شواهد لنجاح المنهج العلمي الجديد، وضع إثبات بالتعميمات التي يمكن استقراؤها من دراسة الظواهر في الطبيعة، وضع فلسفة شاملة في الطبيعة.

كان هذا العالم مرغما على إدخال هذه الكلمة المستحدثة، ففي الحقيقة كان كونت في البداية يرغب بشدة أن يطلق تسمية "الفيزياء الاجتماعية" على العلم المعني بالمجتمع... وهي التسمية التي سبقه إليها العالم كيتلي الذي فكر في تسمية "الفيزياء الاجتماعية" على الدراسة الإحصائية للجماعات البشرية".

ثانيا: مبادئ النظرية الوضعية: يجتمع الوضعيون على أن عمل الفلسفة هو فهم المناهج التي تتقدم العلوم بواسطتها وليس السعي إلى معرفة العالم معرفة لا تستند إلى العلوم، وأغلبهم على أنه ما إن توجد الوسائل لتقدم المعرفة عن موضوع معين يبطل انتماء هذا الموضوع إلى الفلسفة لأنه يصبح علما منفصلا أو جزءا من علم، وقد يكون للفرنسي بيكون شرف البدء بالوضعية بصورتها هذه فعلى الفلاسفة أن يأخذوا –حسبه– مبادئ الأشياء كما هي موجودة في الطبيعة أخذ يقوم على الإيمان بصدق التجارب كما يجب الاعتراف بوجود حقائق أولية دون أي تصور سابق اعتمادا على الإيمان بصدق الخبرة، فصفة وضعي عنده تطلق على الحقائق التي لا تفسر وعلى المذاهب التي تقوم عليها ثم وبسبب التأثر ببيكون أصبحت كلمة وضعي تطلق على مناهج العلوم الطبيعية لاعتمادها الملاحظة والتجربة وهو ما فعله سان سيمون أيضا، وعنده فإن كل علم لا يسير السيرة ذاتها في الاعتماد على الملاحظة والتجربة عبارة عن علم ظني، وأما وضعية كونت فقد كانت مجرد فلسفة علم ودراسة للتطور العقلي وشكلت جزءا من التراث التجريبي في الفلسفة وبخاصة عند هيوم الذي برهن على أن المعرفة البشرية الحقيقية كلها إما تتعلق بأمور الواقع أو بالمنطق والرياضيات، ولكن الاستدلال المنطقي أو الرياضي لا يمكنه من تلقاء نفسه أن يخبرنا بشيء عن طبيعة العالم لأن نتائجه محصورة في إطار ضيق في حين أن معرفة واقع العالم على

خلاف ذلك، وقد أحيا القرن العشرين مقولة هيوم من أن الكلام الذي لا يعبر عن أمر من أمور الواقع بصورة يمكن التحقق منها أو عن أي حقيقة عقلية من حقائق المنطق والرياضيات إنما هو كلام خال من المعنى وهذا ما يعرف بالوضعية المنطقية أو بالمدرسة التجريبية المنطقية، وهو حال المدرسة الوضعية في علم الاجتماع أيضا فمعنى أي عبارة أو جملة يجب أن يتحدد بطريقة البحث عن إثبات صحتها ووجودها .(شروخ.ص، 2005، ص 151-152)

يعود مصطلح الوضعية إلى المذهب الفلسفي الذي يقيم المعرفة على نطاق الخبرة الحسية وأما أن يكشف ما يجاوز الخبرة فمعرفته مستحيلة أو خالية من المعنى ثم نشأت عنه(الوضعية المنطقية) التي ترجع استحالة معرفة الإنسان لما يجاوز خبرته إلى منطق اللغة نفسه لا إلى أساس سيكولوجي، والوضعي من الأشياء ما كان متحققا في عالم الحس والتجربة وإن كانت أسبابه القصوى وقوانينه التي شرعها الله وفرضها على الطبيعة مجهولة لدينا فالوضعي مرادف للحقيقي والتجريبي ومقابل للتأملي والخيالي والوهمي، علما أن كلمة الوضعية لا تخص كونت قد استخدمت من قبل هيوم وسان سيمون قبله كان هيوم رائدا للمذهب الوضعي وأوجست كونت داعية إليه، ويبتعد الاتجاه الوضعي عن التأمل والخيال ويعتمد على الواقع ويستند إلى ما هو موجود بالفعل وهو يفسر العالم في ضوء معطيات التجربة، وتستلهم الوضعية نقطة انطلاقها من العلوم الطبيعية وتفسر الظواهر الاجتماعية في ضوء مصطلحات ومفاهيم علمية.

يعتبر كونت الأول في الحديث عن الفلسفة ويرى أن لفظ الوضعي يدل على الحقيقي المقابل للوهمي والحالة الوضعية في قانون الحالات الثلاث عنده مقابلة للحالة الميتافيزيقية والحالة اللاهوتية، والوضعي من الأشياء هو الثابت والصادق فالأخبار الوضعية عند بعضهم ليست أخبارا مختلفة وإنما هي أخبار مطابقة للواقع، والنظرية الوضعية إنما تدل على أن المعرفة الصحيحة هي المعرفة المبنية على الواقع والتجربة وأن العلوم التجريبية هي التي تحقق المثل الأعلى وأن الفكر البشري لا يستطيع أن يتجنب اللفظية والخطأ في العلم والفلسفة إلا إذا اتصل بالتجربة وأعرض عن كل قبلية، وأن الشيء في ذاته لا يدرك أن الفكر لا يستطيع أن يدرك إلا العلاقات والقوانين.

وبمعنى آخر أن النظرية الوضعية هي اتجاه فكري يبني تفسير العلم على مصطلحات التجربة وتستلهم الوضعية نقطة انطلاقها من العلوم الطبيعية التي أثبتت في عالم اليوم أنها أنجح طريقة لمعالجة مادة التجربة، كما أنها تحاول أن تبحث عن نظرية موحدة لعالم الظواهر الطبيعية والإنسانية من خلال تطبيق

المناهج والنتائج التي تصل إليها العلوم الطبيعية، وقد ظهرت الوضعية كرد فعل للفلسفة التقليدية كمحاولة لتفادي تعقيداتها واختلافاتها وذلك لإقامة التفكير على أساس موحد.(بوجلال.م، 2015، ص 53-54)

إن اهتمام أوجست كونت بوضع مبادئ النظام الاجتماعي الجديد لتثبيت شروط التقدم من خلال فلسفة وضعية أو إيجابية لأن على أساسها يتوقف كل مجهود إصلاحي للمجتمع، وكون مفهوم الإصلاح في تاريخ الفلسفة قد ارتبط بالعقل وبدوره، الذي ظل يتأرجح بين الدور النظري والدور العملي، كما ظل أيضا يتأرجح بين دوره الثوري وبين دوره المحافظ مع أن العقل ظلّ – غالبا – قوة محافظة تعمل على كبت أي تمرد على الأوضاع القائمة وتدعو إلى الحفاظ أو الاحتفاظ بكل القيم السائدة، فلسفة " كونت " الوضعية هي فلسفة " إيجابية " كما يدل عليها اسمها، والإيجاب معناه قبول الأوضاع الراهنة، والوقوف منها موقف الرضا وبالتالي فهي تعمل على الدفاع عنها ضد أي اتجاه يسعى إلى تغييرها، إن هذه السمة لا تعني على الإطلاق أن الفلسفة الوضعية تعارض الإصلاح، إنما تعني أن الإصلاح يجب أن يتم في إطار ما هو قائم، وما هو موجود، وإن محاولة الثورة عليه أمر مخالف لروح الوضعية، من هذا المنطلق حاولت تتبع كيفية تنفيذ " أ.كونت " لهذا المشروع الإصلاحي على الأقل من الناحية النظرية حيث بدأ " كونت " بوضع الأسس النظرية للإصلاح الاجتماعي بالاعتماد على علم الاجتماع وليس على علم الاقتصاد كما ذهب إلى ذلك، حيث بدأ هذا المشروع بفصل النظرية الاجتماعية عن ارتباطها بالفلسفة السلبية، نفهم من هذا أن دور الإصلاح يقع على عاتق علم الاجتماع أي هو الذي تقع عليه مهمة تقديم جملة الاعتقادات اللازمة للتنظيم الاجتماعي إن وجه التجديد عند " كونت " هو أن وضعيته جعلت دراسة المجتمع مساوية لدراسة الطبيعة، لذلك رفضت الكونتية منذ البداية اعتبار المجتمع تحكمه علل مطلقة، وغايات بعيدة، لأن ذلك لا يمكن التحقق منه واقعيا وأنه يؤثر سلبا على العمل الاجتماعي، إن هذا الإعلان لرفض الوضعية للميتافيزيقا هو إعلان عن رفض إدعاء الإنسان أنه قادر على الإصلاح وتغيير نظمه الاجتماعية وإعادة تنظيمها وفقا لإرادته العاقلة المطلقة.

ثالثا: المهام النظرية للفلسفة الوضعية:

– **نقد العلم التقليدي ونقد المنطق الشكلي:** إذ يؤكد " كونت " هذه الوظيفة ويبررها في قوله: " إن دراسة الفلسفة الوضعية باعتبار نتائج فعالية ملكتنا العقلية تزودنا بالوسيلة العقلانية الوحيدة والحقيقية لإظهار القوانين المنطقية للذهن الإنساني والتي بحث عنها حتى الآن بواسطة طرق خاصة قليلا للكشف عنها .

– **الفلسفة الوضعية والاتجاهات النقدية:** "هناك سمة طبعت موقف الفلسفات التقليدية – من أفلاطون إلى كانط – من العقل، وهي اعتبار العقل حائزا بصفة قبلية لكل المقولات اللازمة لمعرفة العالم الخارجي، أي حاصل بصورة سابقة على التجربة على استعدادات ذهنية، لا أثر للتجربة ولا حتى لتطور المعارف عليها، فهي تعتبره عقلا نهائيا كاملا أبناء، لا يخضع لأي علاقة جدلية مع المعارف التي ينتجها، كما لا تنشأ مبادئه من خلال عمليتي استيعاب الواقع والتلاؤم معه، ولم تنشأ نظرة جديدة إلى العقل بالمفهوم الواسع إلا بتأثير من الثورة العلمية التي هدمت المطلقات وكرست في مقابل ذلك نظرة تقول أن للعقل بنية قابلة للتغير وأن للمعرفة تاريخا، ومن هذا المنطلق فإنه يمكن فهم الحركة الوضعية على نحو أفضل إذا عرفنا الخصم الذي كانت الفلسفة الوضعية تحاربه، فالفلسفة الوضعية كانت رد فعل على الاتجاهات النقدية للمذهب العقلاني الفرنسي والألماني على حد سواء، فهي من جهة رد فعل على الاتجاهات النقدية في ألمانيا ممثلة في مذهب " كانط " ومذهب " هيجل "، ومن جهة أخرى فهي رد فعل على الاتجاهات العقلية النقدية الفرنسية ممثلة في فلسفة " ديكارت " وعصر " التنوير "، وهكذا يمكن القول أن الفكر الأوربي دخل عهد الوضعية بعد وفاة هيجل أن الفلسفة الوضعية كان هدفها الأول هو محاربة الفلسفة السلبية في كل جوانبها، ولهذا السبب فهي ترفض إخضاع الواقع لعقل متعال، وبالتالي فإن الفلسفة الوضعية تهدف إلى تعليم الناس كيف ينظرون إلى ظواهر عالمهم ويدرسونها على أنها موضوعات محايدة تحكمها قوانين لا أسباب وغايات إذ يقول كونت: "إن روح المذهب الوضعي تنحصر في الابتعاد عن المعرفة التجريدية والتصوف "فالوضعية تدفع الفكر إلى أن يقنع بالوقائع التي هي موضوع الملاحظة وأن يتخلى عن أي تجاوز لها".(معن.خ، 1997، ص 67)

لو عدنا إلى مفهوم الوضعية كنمط من التفكير أو كمنهج فإنه يمكن تحديد ميزتين تميزه : الميزة أو الخاصية الأولى: هي التوجه إلى كل الأبحاث التي تتضمن التجربة، وبالتالي حمل كل المناهج إلى مختلف أشكال الملاحظة، أما الميزة أو الخاصية الثانية: فهي تتمثل في إدخال نظرة نقدية وفلسفية للمناهج العلمية.

رابعا: أسس الوضعية: يلخص كونت خصائص الوضعية عندما يلخص التضاد بين النظرية الوضعية والنظرية الفلسفية: "يختص علم الاجتماع الوضعي ببحث الوقائع بدلا من الأوهام المتعالية، بالمعرفة النافعة بدلا من التأمل العقيم، باليقين بدلا من الشك والتردد وبالتنظيم بدلا من السلب والهدم"، ويطلق اسم المدرسة الوضعية أو المذهب الوضعي على المذهب الذي أسسه أوغست كونت، وكذلك على الاتجاه

الفلسفي العام الذي يعتبر هذا الأخير جزءا منه، وهي بالمعنى العام ذلك الرأي القائل بأنه مادامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية ولا تتقدم إلا بالملاحظة والتجربة، فإنّ المحاولات التأملية أو الميتافيزيقية لاكتساب المعرفة عن طريق العقل غير المحدود بالخبرة لابد أن يتم التخلي عنها لصالح مناهج العلوم الخاصة، أطلق اسم الوضعية المنطقية على أعمال حلقة فينا التي سعى أعضاؤها إلى الربط بين المنطق والحصول على المعرفة، فقد رفضت هذه الحلقة أيضا الميتافيزيقيا كمصدر للمعرفة، وركزت على التحليل المنطقي كمنهج علمي لدراسة الظواهر ويلخص بعض علماء الاجتماع أهداف هذه الحلقة في:

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف
قسم علم الاجتماع
كلية العلوم الاجتماعية

– نفي وعدم قبول الفكر الميتافيزيقي.

– شرح لغة العلوم وتوضيحها، وهي المهمة الحقيقية للفلسفة.

في حين بنى كونت فلسفته على الملاحظة والتجريب واستخدام الطرائق العلمية لدراسة الظاهرة الاجتماعية قد أشار انتوني غدنز، في كتابه "السياسة، علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية"، إلى أن هناك نقاط التقاء بين الوضعية المنطقية والوضعية التجريبية أهمها:

– محاولة جعل الفلسفة علمية، والعمل على وحدة العلم.

– بناء المعرفة على أسس اختبارية.

– رفض التأملات الفلسفية التي ينقصها التحليل والدقة والوضوح، إذ لا تجد الميتافيزيقا التقليدية مكانا لها في المعرفة العلمية.

خامسا: الانتقادات:

- رفض افتراض الوضعية بوجود قوانين أو شبه قوانين تحكم الظاهرة، ومنه لا يوجد حقيقة مستقلة ومنفصلة عن القيم الإنسانية وتأثير الإنسان بمحيطه.
- يرفض افتراض الوضعية بإمكانية فصل الذات عن الموضوع، أي إنَّه من الصعب وحتى من المستحيل أن يكون الباحث موضوعيا ًغير متأثر بالقيم والمشاعر والعواطف الشخصية التي يحملها حتى لو حاول الباحث أن يكون موضوعياً، فلا يستطيع كون ما يحمله هذا الفرد من

معارف ومعنى للحقيقة هو حصيلة التفاعل المتبادل بين الفرد والبناء الاجتماعي الذي ينتمي إليه.

- ترفض المنهجية الوضعية التي تقوم على الملاحظة والتجريب، فالظاهرة الاجتماعية لا تكرر ذاتها فهي فريدة، ومنه لا يمكن تعميم نتائج الدراسات التي أُجريتْ على ظاهرة معينة على الظواهر الأخرى.
- إن افتراضات الوضعية عن وجود حقيقة مستقلة عن الإنسان يمكن اكتشافها بالملاحظة والتجريب تجد مزيدا من العقبات أمام مثل هذه القراءات المختلفة للظاهرة نفسها.
- لا يمكن إخضاع جميع الظواهر الاجتماعية للتجارب فالدارس إنسان والمدروس إنسان.
- أغفلت هذه النظرية الجانب الديني والأخلاقي في تفسير الظواهر، كما أنها أهملت المعارف التي جاء بها الدين.

المحاضرة الرابعة: رواد الوضعية:

أولا: أوغست كونت 1798-1857

1- الرجل والظروف:

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
قسم علم الاجتماع

ولد كونت بمدينة مونبيليه الفرنسية لوالدين كاثوليكيين التحق بدراسة الفنون التطبيقية بباريس عام 1813، ثم عمل سكرتيرا للكاتب الإشتراكي المعروف سانسيمون، بدأ في عام 1826 إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة في الفلسفة وفيها قد متصوراته للمعرفة والعلوم وحاول من خلالها وضع أسس علمه الجديد الذي أطلق عليه في بادئ الأمر الفيزياء الإجتماعية ثم وسم العلم الجديد باسم علم الإجتماع، في ضوء دراسته ومنهجه أفاد بأنه توصل إلى ما أسماه «قانون الحالات الثلاثة» وإيجاز هذه الحالات أن التفكير الإنساني في كل من حى من مناحي المعرفة مر من مرحلة التفكير الديني إلى التفكير الفلسفي لينتهي أخيرا إلى مرحلة التفكير العلمي الوضعي، كانت الظاهرات تفسر في المرحلة الأولى بنسبتها إلى قوى خارجة عنها في حين أنها تعزي في المرحلة الثانية إلى معان وأفكار مجردة وقوى ميتافيزيقية وعلل أولى لا يمكن إثباتها، وأما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الفهم العلمي التي يذهب فيها العقل إلى تفسير الظاهرات بنسبتها إلى القوانين التي تحكمها والأسباب ويفهم من هذا القانون أن كونت اعتبر الفكر محرك المجتمع صانعه ودافعه .

2- منهجه: وعند الحديث عن المنهج يمكن القول بأن المذهب الوضعي الكونتي، يتضمن أسلوب الاستنباط الأحكام بطريقة منهجية. فقط، إن هذا الأسلوب لا يعتمد على التجريد والمنطق وإنما يعتمد على التاريخ، إذ هو يحاول الوصول إلى قوانين العقل الإنساني لا عن طريق الاستبطان أو التأمل الباطني، ولكن يحاول الكشف عن هذه القوانين في التتابع الضروري للعصور المختلفة التي تتألف منها مراحل التقدم لذلك العقل عن طريق تحليل التاريخ العقلي للإنسانية .

تتمثل ركائز منهجه في الدراسة والبحث: في الملاحظة والتجربة التي تقوم على منطق المقارنة بالظاهرات والمجتمعات وأخيرا التحليل التاريخي المنطلق من دراسة الأفكار وتحليلها كمقدمة أساسية لفهم التطور الإجتماعي، وخلاصة كل هذا أنه نادى كثيرا بضرورة محاكاة علم الإجتماع للعلوم الطبيعية، فبالرغم من أنه تحدث عن أهمية المقارنة والتجربة والتاريخ فلم يستخدمها حيث ركز على الملاحظة وبالغ

في استخدامها، والملاحظة كما هو معروف عنها تعني ملاحظة شيء محدد وتركيز كل الحواس فيه ومن ثم حصر الفكر عنده وعند لحظته وآنيته.

3- أسس فلسفة كونت الوضعية: فالفلسفة الوضعية كانت رد فعل على الاتجاهات النقدية للمذهب العقلاني الفرنسي والألماني على حد سواء، فهي من جهة رد فعل على الاتجاهات النقدية في ألمانيا ممثلة في مذهب كانط ومذهب هيجل، ومن جهة أخرى فهي رد فعل على الاتجاهات العقلية النقدية الفرنسية ممثلة في فلسفة ديكارت وعصر التنوير، وهكذا يمكن القول أن الفكر الأوربي دخل عهد الوضعية بعد وفاة هيجل، لذلك فالفلسفة الوضعية كانت أقل طموحا من الفلسفات العقلية التقليدية لأنها على الأقل لم تنسب إلى نفسها مهمة التشريع، وبالتالي فإن الفلسفة الوضعية تهدف إلى تعليم الناس كيف ينظرون إلى ظواهر عالمهم ويدرسونها على أنها موضوعات محايدة تحكمها قوانين لا أسباب وغايات إذ يقول كونت: "إن روح المذهب الوضعي تنحصر في الابتعاد عن المعرفة التجريدية والتصوف، فالفلسفة الوضعية اتجهت إلى العكس من ذلك، فهي اتجهت إلى جعل دراسة المجتمع مساوية لدراسة الطبيعة، بحيث أن العلم الطبيعي أصبح نموذجا للنظرية الاجتماعية وكان هدفها أن تجعل من الدراسة الاجتماعية علما يبحث عن قوانين اجتماعية مشابهة في صحتها القوانين الفيزيائية، وهكذا فهي تنظر إلى المجتمع على أنه محكوم بقوانين عقلية تتحرك بضرورة طبيعية فالوضعية تدفع الفكر إلى أن يقنع بالوقائع التي هي موضوع الملاحظة وأن يتخلى عن أي تجاوز لها.

ويمكن تلخيص أهم أفكار كونت الوضعية في النقاط التالية:

- **إن الوحدة العقلية تقود إلى الوحدة السلوكية والمعرفية:** والتي تؤدي بدورها إلى التخفيف من حدة الصراعات القائمة بين التصورات المثالية للمجتمع، والظواهر الاجتماعية والتصورات الواقعية للمجتمع.
- **إن الاتساق العام في المجتمع هو أساس النظام والتقدم:** فالستاتيكا الاجتماعية هي دراسة لارتباط الظواهر بعضها بالبعض الأخر، وأجزاء المجتمع لا يمكن أن تفهم منفصلة عن بعضها كما لو كان لكل منها وجود متسق.
- **المجتمع هو صانع الفرد:** ومن ثم يجب أن نخضع الفرد للمجتمع خضوعا تاما، وبناء على ذلك فإن وحدة الدراسة في علم الاجتماع – بالنسبة لكونت– هي الجماعة وليس الفرد.

- دعا إلى تحقيق الوحدة الفكرية التي تقود إلى الوحدة السلوكية والمعرفية، فتزاحم الفكر الديني والفكر العلمي هو أساس كل اضطراب وتمزق ويطلق عليه كونت حالة الفوضى العقلية ويرى أن مهمته تهدف إلى إزالة هذا الاضطراب وإعادة بناء نظام فكري عام.

- ربط كونت بين النظام والتقدم رغم أنه ركز على النظام الذي يقوم على الاتساق العام في المجتمع فالاستاتيكا هي دراسة ارتباط الظواهر بعضها بالبعض الآخر وأن أجزاء المجتمع لا يمكن أن تفهم منفصلة عن بعضها كما لو كان لكل منها وجود مستقل.

- أشار كونت إلى مبدأ تساند الظواهر الاجتماعية كالنظم الاجتماعية والمعتقدات والأخلاق وغيرها لذلك لا يمكن تفسير الظاهرة دون اكتشاف القانون الذي يربطها بالظواهر المتفاعلة معها.

- لقد قاومت الوضعية كل فكر يخرج عن دائرة الحس فالواقعية هي السمة التي ميزت الوضعية واستعملتها كسلاح أيديولوجي ضد الفكر غير الواقعي أو الميتافيزيقي.

- إن الظواهر الاجتماعية تخضع لقوانين ومبادئ عامة هي قوانين طبيعية ومن ثمة فهي تخضع للبحث العلمي. (حامد.خ، 2015، ص 74)

الملاحظ أن الوضعية عند أوجست كونت قد جاءت كمحاولة للرد على دعاة مشروع التنوير وجعل الفلسفة النقدية نظاما فكريا واجتماعيا لا يؤدي من وجهة نظره إلا إلى الانقسام والصراع والتفكك لأنها تطلق العنان للخيال وتبعث الأمل عند العمال وتشجع الصراع الطبقي كما يرى كونت أن نضال العمال وصراعهم ضد البرجوازيين من أجل تغيير المجتمع القائم وفلسفة النقد والصراع الطبقي والنشاط الثوري لا يتم إلا عن طريق التوفيق بين الاتجاهات والطبقات المتصارعة هذه هي القضايا الأساسية التي تشكل مضمون العلم الوضعي الجديد، ورؤية كونت لعلم الاجتماع رؤية علمية وضعية حيث يعتقد بتطبيق المنهجيات العلمية الصارمة نفسها في دراسة المجتمع كما هو الحال في الأساليب التي تنتهجها الفيزياء والكيمياء في دراسة العالم الطبيعي .

ترى المدرسة الوضعية أنه على العلم أن يعنى بالكيانات العيانية التي يمكن ملاحظتها واختبارها بالتجربة فحسب وأن دعوته إلى دراسة الظواهر الإنسانية دراسة علمية وضعية واعتبار الظواهر الاجتماعية تخضع لقاعدة الحتمية والجبرية جعلته يدعو إلى دراسة فيزيولوجية المجتمع عن طريق بعدين:

الأول الاستاتيكي، والثاني الديناميكي الحركي، وعلى هذا الأساس قسم علم الاجتماع إلى قسمين رئيسيين هما قسم سكوني ويتضمن دراسة أحوال المجتمع كما هي عليه وأساس حالة الاستقرار في المجتمع هو النظام، قسم ديناميكي ويعنى بدراسة حركة المجتمعات وحالة الديناميكية في المجتمع هو التقدم، وهذا يعني ضرورة ربط قوانين السكون بقوانين الحركة في كل تنظيم اجتماعي.

وإذا كان التفكير الوضعي أساسه المعرفي فإن له كذلك أساسا منهجيا وهو يتخذ من مناهج العلوم الطبيعية مثالا ونموذجا يطبق طرق البحث المستخدمة فيها ويتوسع في استخدام النتائج التي تنتهي إليها كدلائل هادية لدراسة الظواهر الإنسانية ويعني ذلك تطبيق أفكار العلوم الطبيعية ونظرياتها في دراسة الظواهر الإنسانية.(بوجلال.م، 2015، ص 59-60)

وبشكل عام يمكن القول بأن كونت قد ساهم في بناء النظرية الاجتماعية من خلال أفكاره الوضعية بما يتعلق بالمجتمع وتطوره، وتتلخص أفكاره في:

المجتمع هو صانع الفرد ومن ثم يجب أن نخضع الفرد للمجتمع خضوعا تاما وبناءا على ذلك فإن وحدة الدراسة في علم الاجتماع وعند كونت هي الجماعة وليس الفرد، والنظرية الوضعية في فكر كونت إنما تدل على أن المعرفة الصحيحة هي المعرفة المبنية على الواقع والتجربة وأن العلوم التجريبية هي التي تحقق المثل الأعلى لليقين وأن الفكر البشري لا يستطيع أن يتجنب اللفظية والخطأ في العلم والفلسفة إلا إذا اتصل بالتجربة وأعرض عن كل قبلية وأن الشيء في ذاته لا يدرك وأن الفكر لا يستطيع أن يدرك إلا العلاقات والقوانين.

ثانيا: سان سيمون 1760-1825: عاش في نظام اقطاعي سليل أسرة أستقراطية يحمل لقبا اجتماعيا هو الكونت وكان ضابطا برتبة ملازم أول لما كانت فرنسا تخوض حربا ضد الإنجليز في شمال القارة الأمريكية وقد نضج فكره خلال الثورة الفرنسية التي كانت بمثابة ثورة على النظام الاجتماعي والاقتصادي في أروبا وعلى النظام المعرفي التقليدي، قام سانسيمون في مرحلة نضجه الفكري بكتابات في علم الإنسان مقترحات حديد القواعد المنهجية لهذا العلم الاجتماعي راوده شعور حاد بالمشاركة في الانقلاب الثقافي الذي يطبع العقود الأولى في القرن 19 غير أن اهتمامه الرئيسي هنا كان منصبا على ربط هذه المعرفة الجديدة بالتبدلات الاجتماعية وعلى التركيز على العلاقات التي يقيمها هذا العلم بين النظرية والممارسة السياسية، انطلاقا من وجهة نظر سانسيمون هذه ينبغي النظر إلى أشياء العلم الاجتماعي

بوصفه امتدادا للحقل المعرفي ولسوف يكون من الملح دراسة مناهج علوم الطبيعة لتطبيقها على الوقائع الاجتماعية، ويقارن سيمون بين العلوم التي مرت من الحدسي إلى الوضعي مبينا أن كافة العلوم بدأت بالتكون على أساس حدسي لكن نظام الأمور هو الذي جعل منها علوما وضعية، بدأت المقاربة الوضعية في مرحلة الفكر الموسوعي الذي عرفه في القرن 18 واتخذت عند سان سيمون طابعا تطبيقيا عمليا وليس نظريا مثلما كان سائدا في المرحلة التجريدية أي العلم النظري المجرد ولقد تطور الفكر الموسوعي آليات تحليل جديدة تقوم على الرابط بين المعرفة والواقع الإنساني ويمثل هذا الفكر مرجعية سان سيمون. (بوجلال.م، 2015، ص 54-56)

ثالثا: هربرت سبنسر 1820-1903: تأثر سبنسر بأفكار أوجست كونت وكانت مؤلفاته نقطة تحول كبيرة في أفكاره التطورية حيث أكد من خلال هذه المؤلفات على نقطتين هما :

الدراسة العضوية للمجتمع والتكامل الاجتماعي بين المؤسسات البنيوية وتتلخص نظريته العضوية للمجتمع باختصار تشبيه المجتمع بالكائن الحيواني الحي فكما للمجتمع أجهزة اجتماعية تشبه إلى حد بعيد أجهزة الكائن الحيواني المتكونة من أجهزة وأعضاء كالجهاز الهضمي وجهاز التنفس وجهاز الدورة الدموية والجهاز العصبي وكلاهم مترابطة ومتكاملة مع بعضها، باختصار فإن أفكاره تدور حول النزعة الوضعية التي تقوم حسبه على مبدأ التكامل اللامتجانس وعلى القاعدة العضوية فالمجتمع عنده ينمو من التجانس ينتهي باللاتجانس ومن الاتحاد إلى الانقسامات المتعددة والمتناقضة .

وكان لسبنسر السبق في وضع بعض أسس نظرية التطور فقد آمن بقوانين الطبيعة باعتبارها جاءت لهدف أساسي هو التخلف من الضعفاء واستمرار الأقوياء كما ينعكس هذا في مبدأ الصراع والبقاء للأصلح فكانت أفكاره أساسا للنظرية التي تسمى بالداروينية الاجتماعية التي تقوم على فكرة ترك الأمور للطبيعة وعدم التدخل في مسيرتها من مبدأ تقبل الواقع كما هو وتبرير وجودهن وقد راقت أفكاره للأمريكيين الرأسماليين مما أدى إلى انتشارها في القارة الأمريكية.(بوجلال.م، 2015، ص 62-63)

رابعا: إيميل دوركايم 1858-1917: لقد أسس بناء نظرية نتيجة لحواره مع قضايا عصره بحيث اتسم هذا البناء بالأبعاد الأساسية التالية:

ينتقد منطق الحتميات التي سادت عصره فهو يرفض الحتمية الثقافية هيجل والحتمية الاقتصادية ماركس إضافة إلى رفضه الحتميات التي سادت عصره لكونها خارجة عن الطبيعة الاجتماعية للإنسان والظواهر

الاجتماعية مستقلة عن الفرد ولها وجود بذاتها تدرس وتنشر بظواهر اجتماعية أخرى وليست بمتغيرات فردية أو نفسية أو بيولوجية يمكن ملاحظتها وقد تم التأكيد على القيم الجمعية ودورها في الضبط الاجتماعي وكذلك على ضرورة الوجود الاجتماعي والأهمية القصوى للتضامن الاجتماعي، يعتقد بأسبقية المجتمع على الفرد وقهره له فالمجتمع له صفة الخارجية والقوة وهو واقع مستقل له خصائصه المميزة التي لا توجد في أي شيء آخر والتي تختلف عن التحديد الفردي، لقد عاب على الاتجاه الوضعي تفسيره للعوامل الدافعة للسلوك الاجتماعي في إطار بناء المجتمع حيث التأكيد على أهمية العوامل البيئة والبيولوجية والنفسية فهو يرى بأن خضوع الإنسان في إنجازه لسلوكه يعود إلى البيئة الاجتماعية فالوراثة تفقد فاعليتها كلما تقدم الذكاء الإنساني ووجود الإنسان يعتمد على أسباب اجتماعية وليس عوامل البيئة وقد أضفى دوركايم طابع العلمانية على العلم فإذا كان كونت وسان سيمون قد ربطا علم الاجتماع بالدين فإنه عالجه كظاهرة اجتماعية مثل كل ظواهر المجتمع .(بوجلال.م، 2015، ص 63-64)

خامسا: ماكس فيبر 1864-1920: عاش فيبر ظروف المجتمع الألماني أثناء التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث، غير أن ظروف ألمانيا السياسية أكثر استقرارا من فرنسا وذلك بسبب ما ساد فيها من نزعة قومية تزعمها "باسمارك" وبعض الزعماء، ومن بين هذه الأفكار محاولة التفرقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية أو الإنسانية، وهي قضية أثارتها الفلسفة الكانطية التي تؤكد وجود هوة لا يمكن عبورها بين عالم المادة وعالم الروح، وفي هذا الصدد حاول فيبر التوفيق بين الاتجاهين عندما وافق على أن المعاني والقيم هي موضوع علم الاجتماع وعندما وافق ديكارت في النظر إلى العلم باعتباره علما بغض النظر عما إذا كان يدرس ظواهر ثقافية أو ظواهر طبيعية أي أن عملية الفهم يمكن أن تقابل القوانين العامة للاتجاه العلمي، واعتقد فيبر أنه يمكن توضيح هذا في حالة الفعل الفردي ثم في الحالة الأكثر تعقيدا الخاصة بفهم العلاقات الاجتماعية، ومن هنا يبدأ تميز تراث فيبر الذي حاول أن يضع لعلم الاجتماع إطارا مركبا يجمع بينه وبين التأكيد الوضعي على التحليل السببي وبين التصور التفسيري للفهم الذي تصوره به، فهو مرتبط لديه بنظرية السببية ونظرية التفسير معا، أي أنه يخضع للمناهج العادية في البحث العلمي، والمقصود بالفهم الإحاطة بدلالة الفعل ومعناه والهدف منه وفي علم الاجتماع ينبغي فهم المعنى والدلالة والهدف، بعد فهم الدلالة والمعنى والهدف يأتي دور السببية والتفسير السببي ويقول ماكس فيبر في ذلك: "أصنع تفسيرا بعد أن أكون صنعت الفهم أتأكد من الفهم بواسطة التفسير"، وفي نظر فيبر يتعين على عالم الاجتماع أن يفسر معنى العقل الاجتماعي كما يفسر الدقة التي تحققها تفسيرات العلوم

الطبيعية لذلك فإن تمييزه بين مناهج العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية لا يعني أن العلوم الاجتماعية أقل علمية أو أقل موضوعية لأن هدف علم الاجتماع هو الوصول إلى المعرفة الموضوعية المؤكدة حتى وإن كانت طبيعة الواقع الذي يتعامل الاجتماعي معه يجعل من الصعب تحقيق هذا الهدف.(بوجلال.م، 2015، ص 64-66)

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
قسم علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية

سادسا: تالكوت بارسونز1902-1979: الوضعية في النظرية الاجتماعية التي تعتقد بأن العلم الوضعي هو حصيلة العلاقة بين معتقدات الفاعل الاجتماعي والحقيقة الخارجية المجردة، وبهذا المعنى فإن العلم الوضعي هو ذلك النظام الذي يفصل الحدث البشري عن النزعات والأهواء الشخصية للفرد يقوم به هذه المقاربة الوضعية الباحثة عن العدالة السياسية والاجتماعية ستسعى عمليا إلى هدم العناصر السياسية والمؤسسية المكونة للنظام السياسي والاجتماعي القديم والتي من بينها التمايزات الطبقية والاجتماعية والديانة في شكلها التقليدي.

المحاضرة الخامسة: النظرية الوضعية المحدثة:

أولا: مفهوم الوضعية المحدثة :

1- تعريف الوضعية المحدثة: هي اتجاه نظري في علم الاجتماع يعود أول استعمال لها كمصطلح إلى نيكولا تيماشيف، وجاء استعمال صفة المحدثة أو الجديدة لتمييزها عن وضعية أوغست كونت (الوضعية التقليدية أو الكلاسيكية)، لكنها لم تحظ بنفس الانتشار الواسع الذي حظيت به التقليدية، لذلك انتشر استعمال مصطلح علم الاجتماع الرياضي أو الاتجاه الرياضي في علم الاجتماع كمرادف للوضعية المحدثة، حيث ظهرت كنتيجة استعمال المنهج التجريبي في دراسة السلوك الإنساني والفعل الاجتماعي وخضوع دراسة الظاهرة الاجتماعية للمنهج الإحصائي التحليلي بكثرة .

2. نشأتها :

تعود جذور وركائز النزعة الوضعية المحدثة بعد انهيار المذهب التطوري إلى ما يتصوره الوضعيون الجدد على وجه العموم أن مناهج العلم الطبيعي التي حققت نجاحات ملموسة تعد مناسبة لدراسة الظاهرة الاجتماعية حيث نجد الكثير من الكتابات السوسيولوجية تعتمد على أربعة عناصر وهي:

2-1 النزعة الكمية: أو التكميم ويقصد به التعبير الكمي عن أبعاد الظاهرة الاجتماعية ومتغيراتها وعملياتها وذلك باستخدام العد والقياس كمنهج للدراسة لا غنى عنه للبحث العلمي في أي ميدان تستخدم الأساليب الإحصائية والنماذج الرياضية وينطبق ذلك على علم الاجتماع.

2-2 النزعة السلوكية: يقصد بها الاهتمام بدراسة مدخلات ومخرجات السلوكو ترتكز النزعة السلوكية في الوضعية الحديثة على دعاوى مؤداها أن الشعور لا يمكن معرفته موضوعيا أي لا يمكن إخضاعه للوسائل الكمية وكذلك الاستبطان لا يمكن أن يكون مصدر للمعرفة وبالتالي فإن علم النفس وعلم الاجتماع يدرسان فقط السلوك القابل للملاحظة مع الاهتمام بدراسة السلوك الواضحة والظاهرة القابلة للملاحظة لكن هناك بعض العمليات الأخرى تستعصي على الدراسة كاللاشعور الذي لا يمكن إخضاعه للملاحظة على سبيل المثال.

2-3 النزعة الحسية: ويقصد بها التركيز بل السعي نحو المعرفة المعتمدة على الإدراك الحسي فحقائق الأشياء تتوقف على إمكانية حدوثها جزئيا أو كليا من خلال عدد من الانطباعات الحسية وإذا أمكن

للباحثين إقامة نظام على أساس هذه الانطباعات تيسر لهم سن القوانين باعتبار أن جوهر القانون لا يعني ضرورة واقعية وإنما هو أساسا تصور إنساني دخل بطريقة منطقية في عالم المدركات.

2-4 النزعة الفردية: لقد كان الاتجاه الوضعي يتناقض وجدانيا في بادئ الأمر والاتجاه النفعي التقليدي عند الطبقة الوسطى، باختصار فإن الوضعيين حاولوا توسيع نطاق الاتجاه النفعي الفردي وإعطائه طابعا اجتماعيا، تأتي الإيقاعات الوضعية الحديثة الرباطية الحركة السلوكية والكمية والحسية والنفعية التي تعبر بوضوح عن المشروع الرأسمالي الربح والحساب والمحسوس والحفاظ عليها لضمان بقائها واستمرارها ومن الواضح أن النظرية الوضعية الحديثة تنظر إلى الأشياء كما هي وتهيم بها وصفا وتدركها إدراكا حسيا جزئيا معزولا عن سياقها التاريخي وعن إطارها البناء والوقوف على الأوضاع القائمة .(بوجلال.م، 2015، ص 72-74)

ثانيا: مبادئها :

1- **مبدأ التحقق:** يعتبر كل من مورتيز شبيك، ولوديقويت جنشتاين أول من صاغا هذا المبدأ، يذهب شليك إلى أنه من خلال مبدأ التحقق يمكن أن نختبر صدق أو كذب الفرضيات عن طريق عدد محدد من الأحكام والملاحظات المدعمة بالأرقام، فحسب الوضعية المحدثة الطريقة الوحيدة للتحقق من أي فرضية هو التجربة الحسية المباشرة.

2- **مبدأ الإجرائية:** استعمل هذا المصطلح أول مرة من طرف بريدجمان، يرى أن كل المعرفة ترجع إلى مجموعة الإجراءات (العمليات) التي يقوم بها الإنسان خلال نشاطه، حيث لا يمكن معرفة أهمية ومعنى أي مفهوم، ما لم نضع إجراءات نتمكن بواسطتها من قياس الظواهر التي يعبر عنها ذلك المفهوم.

إن الوضعيين المحدثين يؤكدون أن العلم وحده هو الذي يملك الحقيقة كما أنهم يماثلون كونت في الاهتمام الشديد بالملاحظة والاستدلال عند إجراء تحليل سوسيولوجي، ولكنهم ما لبثوا أن استبدلوا المنهج التاريخي عند كونت بالمناهج الإحصائية والرياضية.

هذا وقد حاول بارسونز أن يوضح هذا البعد بإشارته إلى أن النفعية ذاتها تعد محاولة وضعية لتطوير نظرية الفعل، وقصد بارسونز بنظرية الفعل أية نظرية يكون الإطار المرجعي الإمبريقي لها هو النسق الملموس، وبهذا وطالما قبلت الوضعية فكرة أن الأهداف لا تخضع للتنبؤ العلمي أو الضبط فإنها بذلك

تكون قد حصرت نفسها في نطاق تحليل الفعل في ضوء العناصر، وتجدر الإشارة إلى أن ثمة أسماء معروفة أسهمت في نمو الاتجاه الوضعي الجديد منها على سبيل المثال جورج لندبرج الذي اعتبر العلم وسيلة أساسية لحل التناقضات وتحقيق التوازن، وركز في هذا الصدد على السلوك والتفاعل بين البشر بوصفهما محركين ومصدرين للطاقة التي تحدث التقلبات في الظاهرات، ومن ناحية أخرى حاول أن يمزج النزعة الكمية بالسلوكية مشيرا في الوقت نفسه إلى أن الشعور والدوافع والقيم معوقات لنمو العلم الاجتماعي وعلى الباحث ألا يأخذ أي موقف أو يصدر أي حكم قيمي على الواقع.

إن أول مايلاحظ على التوجيهات الوضعية وتنويعات ألحانها سواء كانت وضعية تجريبية أو وضعية منطقية أنها علميا تركز قصارى جهدها في وصف الواقع المعطي والمحسوس وصفا كميا يعني بسلوك الإنسان دونما اهتمام واضح بتفسيره وببواعثه المجتمعية الناجمة عن ظروف البناء الاجتماعي وإنما بالأهواء الفردية والخصال الشخصية، إنها ببساطة شديدة تقضي بقبول عباراتنا الوصفية البسيطة التي نعبر بها عما هو قائم ونسلم بأن هذا هو كل ما يمكن معرفته بل إن أهواءنا التي تشكل جانبا كبيرا من حديثنا العادي تمضي الآن باعتبارها حقائق.

وفي هذا يشير الفيلسوف جلنر Gellner.A إلى أن الوضعية الجديدة تلمح إلى قول يقضي بأن العالم هو دائما على نحو ما يتراءى لنا وبصرف النظر عما إذا كانت رؤيانا حقيقية أو زائفة طالما ليس لدينا فكر حاذق يسهم في بلورة الرؤيا وتصحيح مسارها.

تهدف الوضعية المعاصرة والوضعية الكلاسيكية إلى التخلص من الفلسفة عموماً، والفكر الميتافيزيقي خصوصاً، ووضعية أوجست كونت لا تختلف عن الوضعية المعاصرة في الهدف، إلا أنها تختلف معها في المنهج .

دعت الوضعية الكلاسيكية إلى استخدام طرق وأساليب العلوم الطبيعية في رفضها للميتافيزيقا، في حين استخدمت الوضعية المعاصرة "تحليل اللغة" والوضعية في جميع أشكالها ترفض الفلسفة وادعاءاتها بمعرفة حقيقة الأشياء وكشف أسرار النفس البشرية فالوضعية لا تعترف بغير الواقع، أي إخضاع الأشياء للمشاهدة والتجربة، رأى الوضعيون أن ادعاء الفلسفة هذا مجرد ادعاء، لأن مثل هذه القضايا من المستحيل حلها أو التوصل إلى نتيجة في البحث بها، وإن الإنسان لم يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام في حل مثل هذه المسائل وفي رأي الوضعيين أن دور الميتافيزيقا انتهى، لأن العلوم الجزئية (علم الطبيعة

والكيمياء...) يمكن الاعتماد عليها في معرفة حقائق عالم الواقع، لأنها تعتمد المناهج التجريبية في المعرفة .

ثالثا: الوضعية المعاصرة والميتافيزيقا:

تعد الوضعية المنطقية استمراراً لجماعة فينا" وللنظرية التجريبية أو الحسية في المعرفة، إنها رفضت كل ما هو مجاوزة للحس المباشر ولكن الجديد الذي جاءت به في الفكر هو اتجاهها اللغوي أو المنطقي، وإنها تسمي نفسها علمية لأن قضاياها تجريبية لا تعترف إلا بالقضايا اللغوية التي تشير إلى الواقع التجريبي.

والوضعية المعاصرة ترفض الميتافيزيقا أو المشكلات الفلسفية التي تكونت على طول التاريخ، وينظر إليها على أنها مشكلات متخيلة، ولكنها لا تستعيض عنها بمشكلات جديدة، وإنها تطلب فقط أن تتوقف الفلسفة عن أن تكون نظرية، وأن تجند نفسها لتحليل القضايا العلمية أو اليومية، إن المذهب الوضعي المحدث الذي أهمل أو ألغى بُعد الفلسفة النوعي هذا قد وجد نفسه مضطرا إلى العمل في عالم أكاديمي أفقر نفسه على نحو مصطنع، وإلى خلق مشكلات وهمية بدلا من أن يحل المشكلات الواقعية.

تعد الوضعية المعاصرة القضايا الفلسفية قضايا (ميتافيزيقية)، غير علمية، بل ترفض كل تأمل فلسفي على أساس أنه لا معنى له، نجد هذا المبدأ ينطبق عليها أيضا في المشكلة نفسها التي وقفوا ضدها،لأن "مبدأ التحقق" هو ذاته مبدأ فلسفي، وهم يرفضون الفلسفة لأنها لا تخضع للخبرة أو التجربة .

يقول برتراند راسل: "يواجه الموقف الوضعي صعوبة هي رفض كل تأمل فلسفي بوصفه لغواً، ومصدر الصعوبة هو أن نظرية قابلية التحقق هي ذاتها نظرية فلسفية.

ويمكن أن نجمل السلبيات في موقف الوضعية المعاصرة اتجاه العلوم المعيارية بما يلي :

أ. لا تعالج الوضعية المعاصرة القضايا الأخلاقية من منطلق اجتماعي، بل بالتحليل المنطقي القائم على اللغة.

ب. إن علم الأخلاق – عموماً– يقرر ما يجب أن يكون وليس ما هو كائن، فهو خالي من الدلالة المعرفية أو التجريبية.

ج. إن علم الأخلاق والجمال معياريان لا علاقة لهما بالواقع، وليسا علميان، ولهذا فهما لا يخضعان لمبدأ التحقق.

ففي رأي الوضعية إننا لا نستطيع بل لا نملك الوسائل التي تجعلنا نبرهن على وجهة نظر هذا الشخص أو ذاك إنها صحيحة، فهذا يطرح فكرة يستند عليها، والآخر يطرح فكرة أخرى يستند عليها، وهي عند الإثنين مسألة اعتقاد وليس علم، وفي نهاية الأمر فالمسألة قرار فردي.

على الرغم من أن الوضعية بكل أشكالها وقفت موقفا رافضا للميتافيزيقا، وعدت كل القضايا الفلسفية ألفاظا لا معنى لها، يجب طردها من الفكر الإنساني، إلا أنها نفسها أصبحت جزءا من الفلسفة وذلك من خلال نقدها لها وخوضها في موضوعاتها.

رابعا: أسسها:

– ترفض الوضعية كل ما هو غير مرئي مباشرة وتعده كلام لا معنى له وليس علماً، هناك فرضيات في العلم تسمى "فرضيات ميتافيزيقية."

– تعطي الوضعية للفلسفة وظيفة التحليل المنطقي للغة: أن الفلسفة بطبيعتها فطرية وغريزية في الإنسان منذ بداية إدراك الإنسان للعالم الخارجي إلى أن تبلورت على يد اليونان وأصبحت منهجية ومنظمة والفلسفة بهذا المعنى (نقدية) أداة لفهم الإنسان أو تفسير عالمه ومجتمعه، في حين أرادت الوضعية جعلها علما كالعلم الطبيعي يدرس الظواهر عن بعد دون أن يؤثر فيها أو يغييرها.

خامسا: الانتقادات:

- نقد ماركيوز لرأي الوضعية :يرفض ماركيوز منهجية الوضعية المعاصرة لأنها تزدري وتحتقر "المفاهيم" القادرة على تعقل الواقع وكشف "بنيته الاضطهادية" يرى ماركيوز أن الفلسفة الوضعية التجريبية فلسفة "إيجابية" ترفض عنصر "السلب" الذي يؤدي إلى التغيير لذلك فهي فلسفة تسعى للحيلولة دون وقوع لا يغير شيء من ظواهر الطبيعة، إنما يكتفي بتسجيل ما هو موجود منها، وبيان طريقة الظواهر وعملها ومحاولة إيجاد قانون لذلك يستطيع بواسطته أن يفسر سلوك هذه الظواهر مستقبلاً.

- إن قضية كفاءة النزعات الكمية والسلوكية والإجرائية في الوضعية المحدثة عموما بوضعها وسائل لتحقيق ذلك لا يزال موضوع جدل مستمر خصوصا وأن الظاهرة الإنسانية تتجاوز تلك الخصائص الواضحة للظاهرة القابلة للعد والقياس.
- اهتموا بالمسائل المتصلة بالسياسة الوضعية وعبادة الإنسانية وأهملوا النواحي العلمية والمنهجية في فلسفتهم الاجتماعية، وهذا هو السر في أنهم لم ينجحوا في حل المشاكل التي كانت تواجه المجتمعات في زمانهم.
- لم ينجح أنصار الوضعية أن يقفوا موقفا حاسما بصدد هذه المشاكل وأغرقوا في اتجاههم الديني واهتموا بنشر الديانة الوضعية وأصدروا مجلة اجتماعية سميت بالمجلة الوضعية.

المحاضرة السادسة: رواد الوضعية المحدثة:

أولا: جورج لندبرج(1895-1966): هو عالم اجتماع عمل في عدد من الجامعات الأمريكية شغل منصب أستاذ في جامعة واشنطن اختير عام 1942 رئيسا للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع، يعد من أبرز ممثلي الاتجاه الوضعي الحديث الذي يهدف إلى تحديد الإجراءات المنهجية في ضوء الاتفاق والاقتناع الواضحتين على تحديد المفهومات من خلال البحث عن الدلائل التجريبية أو الإحصائية التي تمثل الظواهر الاجتماعية وتصورها في ضوء مجموعة من الإجراءات المحددة، يرى بأن كل العلوم الاجتماعية كانت أو غير اجتماعية هي بالضرورة أداة أو وسيلة تكيفية فكل بحث يبدأ عادة بضرب من التوتر أو عدم التوازن يستشعره الكائن العضوي الذي يجريه، ومن الواضح أن وجهة النظر هذه تتفق تماما مع النزعة السلوكية طالما تتجنب الإشارة إلى أية وقائع أو حقائق عقلية وتحاول كل ضروب التكيف في الحياة الإنسانية الاقتراب من موقف التوازن(أو أقصى درجات الاحتمال) ذلك الموقف يمثل الحالة الطبيعية للأمور هذا التصور يتفق مع النظرية السائدة في العلوم الطبيعية المعاصرة.(بوجلال.م، 2015، ص 75)

يعتقد أن العلم (طبيعيا أو اجتماعيا) هو وسيلة للتوافق وبناءا على ذلك فان موضوع العلوم الاجتماعية هو حركات الناس أي سلوكهم التي تحدد مواضعهم داخل المواقف الاجتماعية، وهو إلى جانب ذلك يناقش قضايا التفاعل والاتصال الاجتماعي ينفي ضوء مفهوم الحركة (حركة الذرات) أو السلوك، ويرفض استعمال الاصطلاحات التقليدية كالشعور والأهداف والقيم والدوافع...الخ، ويؤكد علي ضرورة استخدام التعريفات الإجرائية، فالظواهر الاجتماعية هي فقط تلك التي يمكن قياسها كالمساحة التي تقاس بالمتر والذكاء باختبارات الذكاء.

ثانيا: ويليام فيلدينغ أوجبورن(1886-1959): عالم اجتماع أمريكي ولد في باتلر بولاية جورجيا وتوفي في تالاها سيفلوريدا، كان إحصائيا ومربيا تلقى أوجبرون دراسته في جامعة ميرسر وتحصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة كولومبيا وكان أستاذا لعلم الاجتماع في جامعة كولومبيا من عام 1919 حتى عام 1927 عندما أصبح رئيس قسم علم الاجتماع في جامعة شيكاغو شغل منصب الرئيس 19 لجمعية علم الاجتماع الأمريكية في عام 1926 وكان رئيس تحرير مجلة الجمعية الإحصائية الأمريكية 1920-1926 وفي عام 1931 تم انتخابه رئيسا للجمعية الأمريكية الإحصائية، لعب دورا محوريا في وضع حجر الأساس للاتجاهات الاجتماعية الحديثة، لقد سعى أوجبرون من خلال دراسات إلى الحصول

على معاملات ارتباط بين المظاهر المختلفة لهذه الظواهر مع تأكيد واضح على الموضوعات التكنولوجية والاقتصادية، وكان مؤلفه الشهير" الآثار الاجتماعية للطيران" 1936 قد جعله قريبا من الجناح الرياضي للوضعية المحدثة.(بوجلال.م، 2015، ص 75-76)

يعتبر مؤلفه "التغير الاجتماعي" إسهاما أساسيا في النظرية الاجتماعية، له طابع وضعي محدث، استبدل مصطلح التطور الاجتماعي بمصطلح التغير الاجتماعي بهدف التغلب على النزعة التطورية السيكولوجية، اهتم بمفهوم الثقافة ووضع فروض متعلقة به، من بينها فرض التخلف الثقافي أو الهوة الثقافية، ينطلق هذا الفرض من أن التغيرات في الثقافة المادية تسبق التغيرات في الثقافة اللامادية، لكن العادات والأعراف القديمة _ وهي جزء من الثقافة اللامادية_ قد لا تتمكن من ملاحقة هذا التغير، لذلك يتوجب قياس سوء التكيف هذا وهو بالذات يوضح موقف أوجبرن من الوضعية المحدثة، أي أن العادات والأعراف والتقاليد قد ترفض التغير الحاصل في الثقافة المادية، في حدث ما يعرف ب: التخلف الثقافي أو الفجوة الثقافية.

ثالثا: فرانسيس ستيورات شابين(1888-1974): أستاذ علم الاجتماع تحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا انتقل إلى كلية سميث حيث شغل منصب رئيس القسم 1920-1940 كما شغل منصب رئيس رابطة 25 لعلم الاجتماع الأمريكي، لعب دورا هاما في إنشاء علم الاجتماع الكمي الإحصائي في الولايات المتحدة في السنوات ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية 1920-1940 يصنف على أنه وضعي محدث معتدل كونه استعان بالاتجاه التجريبي الذي يتميز بدقة المنهج التجريبي، والفكرة الأساسية التي يرتكز عليها هذا المنهج كما ورد في مؤلفه "التصميمات التجريبية في البحوث السوسيولوجية" تدور حول استخدام منطق التجربة المعملية لقد وافق تشابين الوضعية المحدثة على تأكيد التعريفات الإجرائية في العلوم الاجتماعية بالرغم من أنه اتخذ موقفا معتدلا منها، فلقد أشار في كتاباته بأن ما يسمى بالتعريف الإجرائي لا يعد حلا نهائيا أو منطلقا ولكنه مجرد تطور مفيد نحو تحقيق مزيد من الموضوعية، والواقع أن أغلب علماء الاجتماع المعاصرين يوافقون على وجهة النظر هذه، ويذهب تشابين إلى أن الرسوم البيانية الرمزية تعد وسيلة أساسية من وسائل تحديد النظم لأنها تساعد في إدراك أنماط العلاقات التي يصعب رؤيتها هذه العلاقات يجب أن تخضع للقياس، اهتم تشابين بتصميم عدد من المقاييس لقياس صور مختلفة من السلوك النظامي كالمكانة الاجتماعية، البيئة الأسرية، استعان تشابين كذلك بالمنهج التجريبي، يدور حول فكرة أساسية هي استخدام منطق التجربة المعملية، ففي المعمل

يضطر العالم الطبيعي إلى تثبيت أو ضبط كل الظروف، باستثناء ظرف واحد يبحث تأثيره على الظروف الثابتة وبما أن الباحث الاجتماعي لا يمكنه التحكم في التغير الاجتماعي، لذلك عليه أن يلاحظ حالتين أو أكثر من موقف اجتماعي يختلف بالنظر إلى وجود أو عدم وجود الظروف موضوع الدراسة، في تمكن من الوصول إلى السبب، وافق تشابين الوضعية المحدثة في التأكيد على التعريفات الإجرائية في العلوم الاجتماعية، ولكنه اتخذ موقفا معتدلا منها، يقول: "إنما يسمى بالتعريف الإجرائي، لا يعّد حلا نهائيا أو مطلقا، ولكنه مجرد تطور مفيد نحو تحقيق مزيد من الموضوعية".(بوجلال.م، 2015، ص 76)

رابعا: ستيوارت دود: حاول تقديم نظرية كمية منظمة للمجتمع سّماها نظرية الموقف، وحسبه يمكن تقسيم الموقف إلى أربعة فئات من المكونات: الزمان، المكان، وهما الفئتان الشائعتان، السكان، يمثلون فئة مشتركة بين كل الظواهر الاجتماعية، بالإضافة إلى فئة خصائص السكان وبيئاتهم ورمز إلى كل مكون برمز: الزمان (T) المكان(L) ،السكان(P) ،المؤشر(I).

المحاضرة السابعة: النظرية الماركسية الكلاسيكية:

أولا: نشأة الماركسية: يرجع الفكر الماركسي في نشوئه إلى حركة الإصلاح الديني التي بدأها في ألمانيا الكاهن مارتن لوثر وهي حركة دينية ذات نزعة قومية تحررية أريد بها تحرر الشعب الألماني من هيمنة روما وكنيستها التي رأت في الفرد قاصرا ميالا بطبعه إلى الشر وارتكاب الخطيئة ففرضت وصايتها عليه وأمام هذا الموقف المجحف وهدر كرامة الإنسان أعلن معارضته لوصاية الكنيسة، حركة الإصلاح الديني هذه أثارت حربا أهلية أدت إلى تخلف ألمانيا عن إنجلترا لكن الفكر الألماني بقي معتزا بمآثر الحركة الإصلاحية معتمدا العقل والضمير في إنشاء فلسفته المثالية التي رأى فيها إنجازه العظيم وعول عليها في تعويض أمته عما فاتها وتحقيق ما تصبو إليه من تقدم.(بوجلال.م، 2015، ص 78)

ثانيا: الدراسة الاجتماعية من منظور ماركسي: يجب على علم الاجتماع من منظور ماركسي أن يقوم بمهمة إثبات الطابع الإنساني للمجتمع وذلك باعتباره حلقة اتصال بين مختلف العلوم سواء الطبيعية منها أو المعنية بدراسة الإنسان، ويوضح تراث ماركس اهتمامه بهذه الحقيقة ابتداء من دراسة التاريخ كدليل على أهمية الدراسات التاريخية كمدخل لعلم الاجتماع، لقد حظي ماركس بشهرة واسعة كونه من أبرز من يسروا محاور ارتكاز أساسية لنظرية اجتماعية وتاريخية لفهم التغيرات التي مرت بها المجتمعات الأوروبية وكان له الفضل على الحركة العمالية حيث تأسست نظريته الاجتماعية من خلال الدراسة الاجتماعية الواقعية لحياة الطبقة العاملة كما يعد الفكر الماركسي هو الوريث الشرعي لعصر التنوير باتجاهاته النقدية والسلبية، بحيث أكد مشروعية النقد في النظام الجديد الذي لم يحقق ما كان منتظرا من هو من ثم يعد ماركس مؤسس التيار الراديكالي في فهم قضايا المجتمع ومشاكله وتعد نظريته من أكثر النظريات التي مارست تأثيرا في تاريخ الفكر الاجتماعي ليس فقط في القرن19 بل حتى الوقت الحالي حيث وجهت جميع النظريات التي جاءت بعدها فهي إما نظريات مؤيدة لها أم للهجوم عليها.(بوجلال.م، 2015، ص 80)

يقوم علم الاجتماع الماركسي على منهجين هما: المنهج الجدلي والمنهج التاريخي، دون استبعاد الطرق البحثية الأخرى وقد ساعد المنهج التاريخي على كشف القوانين العامة والقوانين النوعية للتطور الاجتماعي، وساعد المنهج الجدلي على التمييز بين الموضوعي والذاتي في الحياة الاجتماعية، وكذلك التمييز بين العام والخاص والضروري وغير الضروري والاجتماعي وغير الاجتماعي، وساعد ما سبق على إكساب علم المجتمع طابعه العلمي والنوعي في الوقت ذاته .(شروخ.ص، 2005، ص 82)

ثالثا: المقولات التي تقوم عليها الماركسية:

1- **مقولة الفلسفة الجدلية:** تعني أن القانون الذي يحكم الكون هو قانون الحركة والتغير المستمرين وذلك استنادا إلى أن كل موضوع لديه نقيض متصارع معه، والذي يؤول إلى مركب الموضوع، حسب السيرورة الجدلية الآتية:

المرحلة الأولى: تأكيد الفكرة لذاتها وتمثل الموضوع أو الإثبات .

المرحلة الثانية: تمثل نقيض الموضوع أو النفي.

المرحلة الثالثة: يبرز الصراع بين الموضوع ونقيضه، ويزداد حدة، فيتولد عنه موضوع جديد يمثل: مركب الموضوع أو نفي النفي، فيحدث بذلك التطور والحركة، وتشير العملية الديالكتيكية ببساطة إلى تناقض قوتين متعارضتين، يؤدي هذا التناقض إلى ظهور قوى عديدة نتيجة لهذا الاحتدام بينهما، ويبدأ الديالكتيك بقوة تسمى قضية تُناطح قوة جديدة تسمى نقيض القضية وهي قوة مناقضة وينشأ كنتيجة للمعركة بين القضية ونقيضها قوة ثالثة هي التركيب أو التأليف تضم كلا منهما.

وتقوم الفلسفة الجدلية على القواعد التالية:

وحدة وصراع المتضادات: هو القانون الذي يبين مراحل التطور والحركة، فالعناصر المتناقضة تتصارع داخل الوحدة النظام الواحد. فكل ظاهرة تقوم على طرفين متعارضين، يتولد فيها صراع هذا الصراع لا يقضي على وحدة الظاهرة أو الشيء بل يؤدي إلى تغلب الطرف المعبر عن التقدم في حدث التحول مثال: النظام الرأسمالي، رغم التناقض والتعارض بين الطبقتين فهما يؤلفان وحدة النظام الرأسمالي.

قانون انتقال وتحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية: يهتم بكيفية سير التطور، فعندما تتراكم التغيرات الكمية وتتزايد، يتم التغير النوعي الذي يمس طبيعة الأشياء والظواهر تنتقل من حالة قديمة إلى جديدة.

نفي النفي: يكشف هذا القانون عن الاتجاه العام للتطور، فكل نظام جديد يقضي على النظام السابق وكل نظام يضم أسباب كامنة في ذاته تؤدي إلى القضاء عليه.

مقولة المادية الجدلية: إذا كانت فلسفة هيجل جدلية مثالية، تحّولت عند ماركس إلى جدلية مادية تنطلق من أن الواقع أو الوجود يأتي أولا، وهو الذي يحّدد الفكرة، فأفكارنا ووعينا هو انعكاس لواقعنا ووجودنا. إذن ماركس عارض هيجل واعتبر منهجه الجدلي نقيض للجدل الهيجلي احتفظ ماركس بفكرة الجدل عند

هيجل لكن أضاف المحتوى المادي إلى المادة هي أساس الفكرة، أي أن المجتمع يتطور وفقا للبناء الاقتصادي أو البناء التحتي الذي يحدد البناء الفوقي، ويؤثر فيه البناء التحتي.

البناء الفوقي: يضم النظم القانونية والسياسية والأفكار الفلسفية والدينية... الخ.

البناء التحتي: مجموع علاقات الإنتاج التي تشكل البناء الاقتصادي للمجتمع .

ويتمثل أسلوب الإنتاج في: علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج أما قوى الإنتاج فهي الوسائل المساعدة على إنتاج السلع المادية وتضم أدوات الإنتاج والأفراد أما علاقات الإنتاج فهي العلاقات التي تنشأ بين الناس نتيجة عملية الإنتاج والتبادل وتوزيع السلع المادية وخاصة فيما يتعلق بكيفية تملك وسائل الإنتاج كالأرض والمباني والآلات مثلا، أما وسائل الإنتاج تتكون من وسائل ومواد العمل وقوة العمل.

يرى ماركس أن البناء المادّي للمجتمع أي موارده الطبيعية والبشرية ومصادر رزقه ووسائل استغلاله الطبيعية هو الذي يحدد ماهّية البناء الفوقي للمجتمع، أي يحدد أفكار وأيديولوجية وفلسفة ودين وقيم وأخلاق المجتمع.

2- **مقولة المادية التاريخية:** هي تطبيق المادية الجدلية على المجتمع، فالوجود الاجتماعي والواقع الاجتماعي هو انعكاس للوعي الاجتماعي، فالمادية التاريخية تقوم على تفسير حركة المجتمع وتاريخها بالبناء الاقتصادي أي التفسير المادي "الحتمية الاقتصادية"، بمعنى العامل الاقتصادي هو الأساسي في التفسير، وُوجد تصور جديد مادي للتاريخي فسر وعي الناس بدء من وجودهم، إذن المادية التاريخية تعتبر أن العامل المادي هو أساس كل تطور في المجتمع، والتغير في أسلوب الإنتاج يجر وراءه كل التغيرات الاجتماعية الدينية، السياسية، الثقافية، الاقتصادية أما عن الصراع الطبقي فهو محرك التاريخ ويدفع المجتمع إلى الانتقال من مرحلة لأخرى (المشاعية، البدائية، العبودية، الإقطاعية، الرأسمالية، الاشتراكية والشيوعية.)

رابعا: أسس النظرية الماركسية: ترتكز النظرية الاجتماعية لدى ماركس على القضايا الأساسية التالية:

1. المادية التاريخية(وما يتضمنه من البناء الأساسي والبناء الفوقي نمط الإنتاج).
2. الطبقات والصراع الطبقي.
3. الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي.

1. المادية التاريخية: تعد النظرية المادية التاريخية من أهم النظريات الأساسية للفكر الماركسي إذ أنها تفسر التاريخ والمجتمع والسياسة تفسيرا ماديا جدليا وهي علم القوانين العامة التي تحكم تطور المجتمع تدرس الظاهرة الاجتماعية دراسة تاريخية مادية جدلية بمعنى أنها تدرسها من ثلاثة زوايا أساسية أو اعتبارات مركزية وأي ظاهرة اجتماعية لا يمكن فهمها أو استيعابها دون دراستها دراسة تاريخية فالماضي يساعدنا على فهم الحاضر وفهمنا للماضي والحاضر يساعدنا على قراءة أو تنبؤ المستقبل، وبالتالي اشتقاقا القوانين عامة تفسر مسيرة المجتمع أو الظاهرة أو المؤسسة أو النظام المطلوب دراسته واستيعابه إن الظاهرة المدروسة ليست بنت الحاضر وإنما هي بنت الماضي المتصلب الحاضر، إن دراسة تاريخ الظاهرة شيء لا بد منه لفهم الظاهرة دون أن نكتفي بالماضي بل ينبغي أن ندرسها دراسة مادية اقتصادية أيضا، يبرر ماركس ذلك بأن الواقع هو الذي يؤثر في الوعي وأن الوعي لا يؤثر في الواقع بأي شكل من الأشكال لأن الواقع هو الظروف والمعطيات الاجتماعية والاقتصادية للفرد والوعي عنده هو جملة من الأفكار والمعتقدات والقيم والمبادئ والدين والفلسفة التي جميعها تتأثر بالعوامل المادية ولا يمكن أن تؤثر في هذه العوامل فإذا غيرنا واقع الإنسان الاقتصادي لا بد أن يغير وعيه الاجتماعي أي يغير قيمه وأفكاره ومعتقداته وفلسفته ونظرته للحياة.(بوجلال.م، 2015، ص 82)

2. الطبقات والصراع الطبقي: كان إبراز ماركس والماركسية لمشكلة الطبقات الاجتماعية قد مهد له سان سيمون وأتباعه وبرودون تمهيدا قويا، وفي هذا الموضوع نكتفي بما ورد عن الطبقات من منظور ماركس الذي ميزها حسب أوفربرغ إلى أربعة طبقات اجتماعية:

- البرجوازية الرأسمالية التي يزداد تألقها باطراد.

- البروليتاريا التي تندلع الثورة بسبب ما تلاقيه من اضطهاد.

- ملاك العقار الذين ينحدرون من طبقة النبلاء الإقطاعيين ويشكلون طبقة لم يعد في طوقها إلا الدفاع عن كيانها.

- البرجوازية الصغيرة ويندرج فيها الصناع والفلاحين غير أن الطبقتين الأخيرتين من الطبقات الأربعة تدوران حول الأوليين اللتين يسيطر الصراع بينهما على الموقف في النمط الحاضر من مجتمعنا.(بوجلال.م، 2015، ص 83)

وهكذا فإن الطبقة لم تواجه في الفقه الماركسي إلا بنوعين من المجموعات الخاصة: الدولة، والحزب السياسي، وذلك لإثبات أن الدولة هي بالضرورة الهيئة السيادية للطبقة وأن الحزب السياسي هو دائما أداة للصراع الطبقي.

فالطبقات والصراع الطبقي من منظور ماركسي يتمان على أساس تقسيم المجتمعات إلى مالكة لوسائل الإنتاج أو غير المالكة لها وأن الموقع من هذه الوسائل هو الذي يحدد كل العوامل الأخرى التي يتكلم عنها المفكرون المثاليون مثل المهنة والدخل وأسلوب الحياة ومحل السكن رافضا استخدام محك الدخل للتمييز بين الطبقات ذلك لأن الدخل ليس منفصلا بأي شكل من الأشكال عن العملية الإنتاجية ولكنه يتحدد بأسلوب الإنتاج وبالتالي فإن ماركس قد رفض دعاوي المفكرين المثاليين أمثال جون ستيوارت ميل بأن الطبقات ليست إلا نتاجا للامساواة في توزيع الدخل وبالتالي فإنه يمكن تخفيف حدة الصراع الطبقي أو حتى إزالته عن طريق تقليل بين المداخيل التي يحصل عليها الناس.

يحدد ماركس أساس الاستغلال في المجتمع الطبقي الرأسمالي الحديث فيرى أن الرأسمالية كطبقة يستحيل عليها أن تحقق تراكم الرأس المال ومزيدا من الثروة ما لم تحصل دائما على فائض قيمة عمل العمال فالعامل يضطر دائما إلى بيع قوة عمله لأصحاب الأعمال في سوق العمل الذي يحددونهم قواعده باستمرار هذا الاستغلال هو أساس الصراع الدائم بين الطبقة الرأسمالية وطبقة العمال والصراع الطبقي عند ماركس هو القوة الدافعة ومصدر التطور في المجتمع الطبقي الذي يسود فيه العداء أو العلاقات العدائية بين الطبقات هذا الصراع هو الذي يحدد التطور الاجتماعي في المجتمع الطبقي، وكلما زادت حدة الصراع وكلما أصبحت الطبقات المستغلة أكثر تنظيما وشدة في صراعها ضد مستغليها كلما كان تطور المجتمع أسرع .(بوجلال.م، 2015، ص 84- 86)

3. **الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي:** يعرف ماركس الوعي الاجتماعي بأنه مجموع الأفكار والنظريات والآراء والمشاعر الاجتماعية والعادات والتقاليد التي توجد لدى الناس والتي تعكس واقعهم الموضوعي أي مجتمعهم الإنساني والطبيعة، يبدأ ماركس بالتسليم بأن الأساس الاقتصادي المادي للمجتمع هو الذي يشكل بناء الوعي الاجتماعي وأن القوى الأساسية المحركة للتاريخ هي القوى الاقتصادية الاجتماعية، وليست القوى الفكرية بل علاقات الإنتاج هي أساس الوعي الاجتماعي، ومن جهة أخرى يؤكد ماركس على أن الوجود الاجتماعي أي النشاط الإنتاجي المادي للناس هو الذي يحدد وعيهم الاجتماعي لكن الوعي الاجتماعي قد يتخلف عن

تطور الوجود الاجتماعي أو قد يسبقه، تتضح الاستقلالية النسبية للوعي الاجتماعي في استمرار التطور فالوعي ليس في علاقة سلبية مع الوجود ولكن الوعي يؤثر تأثيرا إيجابيا على الوجود، فالوجود الاجتماعي للناس هو الذي يتغير أولا ثم يتبعه تغير في وعيهم ولكنه في ظروف معينة يمكن أن يسبق الوعي الاجتماعي الوجود الاجتماعي. (بوجلال.م، 2015، ص 86)

خامسا: مبادئ النظرية الماركسية: للنظرية الماركسية طبيعة ثورية حيث تدعو إلى العمل على تغيير الواقع الاجتماعي وخلق أوضاع جديدة ومتطورة دائما وأن القضايا الأساسية للمادية التاريخية تكون الإطار الذي من خلاله يمكن أن نطبق المنهج العلمي الوصفي والإحصائي والرياضي والسيكولوجي والتاريخي وكل أداة استكشافية استحدثها من أجل الوصول إلى تقييم الصلة بين النتائج وواقع الحياة الاجتماعية، ولهذا فإن النظرية في علم الاجتماع تبنى مدخل دراستها على بحث الواقع الاجتماعي بناء على الأسس النظرية الكبرى التي توجه كل استخدام للمناهج المحددة الأخرى.(بوجلال.م، 2015، ص 87-88)

1- **البناء والأيديولوجيا:** يبدأ تحليل ماركس لبناء المجتمع بمسألة البقاء الإنساني الحاجة إلى إنتاج السلع، والاقتصاد هو ذلك المجال من مجالات المجتمع الذي يختص بإنتاج السلع، وقد أشار ماركس إلى قوى الإنتاج ووسائل الإنتاج والعلاقات الاجتماعية للإنتاج ونمط الإنتاج، ويقصد بقوى الإنتاج جميع العوامل التي تسهم في الإنتاج وتشير العلاقات الاجتماعية للإنتاج إلى الطريقة التي يتم بها تنظيم الإنتاج اجتماعيا، وفي جميع المجتمعات غير الشيوعية توجد طبقة تملك وسائل الإنتاج وطبقة تقوم بتشغيل هذه الوسائل، ويشير إلى الاقتصاد والطبقات معا كوحدة متكاملة بالبناء التحتي للمجتمع وما عدا ذلك يطلق عليه البناء الفوقي الذي يضم السياسة والثقافة أو مجال الأفكار تقريبا، أما الدين فإنه يعتبر أن وظيفته الأساسية هي إقناع الجماعات الخاضعة أو المستغلة بأن تؤمن بضرورة امتثالها للجماعات والتي تقوم باستغلالها، وقد أطلق مصطلح الوعي الزائف على تلك المعتقدات الامتثالية المضللة من وجهة نظره.

2- **التناقض والتغير:** أبرز تناقض أساسي يمكن أن ينميه المجتمع هو عندما يحدث عداء بين نمط الإنتاج وعلاقاته الاجتماعية وقصد ماركس بذلك أن توازن القوة الاقتصادية يمكن أن ينتقل إلى جماعة جديدة دون المساس بالنظام القديم ومن ثم يرى أن الرأسماليين يصبحون في النهاية عاجزين عن التحكم في نظام الإنتاج الرأسمالي لأنهم يعجزون عن الحفاظ على سيطرتهم على

الطبقة العاملة، كما وصف ماركس مجموعة من التناقضات الكامنة ضمن هذا التناقض الرئيسي انخفاض معدل الربحية للرأسماليين وزيادة التنافس بين الرأسماليين وتزايد استغلال الطبقة العاملة بما يؤدي إلى رد فعل ثوري، ويشير مصطلح المادية الجدلية إلى نظرية ماركس القائلة بأن التغير التاريخي يحدث من خلال توليفة من المتناقضات داخل النسق وهي مادية لأنه يرى أن القوى الاقتصادية هي المحرك للتغير الاجتماعي وهي جدلية لأن التناقضات تنتج عن العلاقات العدائية الاقتصادية والاجتماعية بين الطبقات.

سادسا: نقد الماركسية:

- الاعتقاد في أن ثورة البروليتاريا حتمية وهذا ضرب من ضروب التفكير الحتمي الفج لأنه يعني أن مناصري ذلك الاعتقاد يرون أننا نعرف المستقبل من الماضي.
- تشديد التأكيد على الصراع فالماركسية بالغت في تشديدها على الصراع وتقليلها من دور الإجماع في المجتمع.
- اتهم سوروكين نظرية ماركس بأنها تقوم على الحتمية أو أساس ميتافيزيقي كما تقوم على جانب واحد فقط حيث أنها في حقيقة الأمر علاقة تبادلية.
- وجه بوتومور نقدا حول هذه النظرية من حيث أن فروض ماركس لها صفة قوانين عامة لكنها مجرد مبادئ نظرية تعتريها أخطاء فيما يخص الوصف الفعلي لنمط الصراع والتوازن.
- تبقى نظرية ماركس ناقصة وأن الصراع الطبقي لم يتم في الطبقة الرأسمالية للانتقال إلى الطبقة الاشتراكية ومن ثم إلى الشيوعية كما كان يطمح.
- وقوع الماركسية في العديد من الأخطاء العلمية سواء فيما يتعلق بالتركيز المطلق على المادي الاقتصادي وإهمال العوامل الأخرى في التغير الاجتماعي وتحديد البناء الاجتماعي أو فيما قدمه من تصور خيالي لمراحل التطور التاريخي للمجتمعات.
- تعرضت الماركسية لانتقادات كانت مجملها تتلخص في اعتبار التغير الاجتماعي لا يفسر فقط بالعامل المادي، بل تحكمه عوامل متداخلة كالروح القومية، الدين كما إن التغير من نموذج معين للتنظيم الاجتماعي إلى نموذج آخر ليس بالضرورة نتيجة لانتصار الطبقة المقهورة .
- كما انتُقد فكرة الحتمية المادية، فالعوامل المادية أو الاقتصادية هي واحدة من العوامل المؤثرة على التغير الاجتماعي، إذ أن هناك عوامل أخرى كالعوامل الروحية والدينية والثقافية والنفسية.

المحاضرة الثامنة: رواد الماركسية الكلاسيكية:

أولا: كارل ماركس (1818-1883):

1- التعريف به: ولد في تريو (بروسيا الرينانية) كان والده محاميا يهوديا أعتنق البروتستانتية سنة 1824 ينحدر من عائلة مثقفة ميسورة الحال درس الحقوق في جامعة بون ثم جامعة برلين واهتم بالفلسفة والتاريخ وفي سنة 1841 قدم أطروحته الجامعية حول فلسفة أبيقور وكانت مفاهيمه هيجلية بحتة وبعد تخرجه أقام في بون أملا في الحصول على منصب أستاذ جامعي لكن السياسة القائمة حالت دون ذلك ومن ثم اضطر إلى العدول عن الحياة الجامعية، كان سياسيا وصحفيا ومنظرا اجتماعيا حيث تأثر ماركس بكل من الاقتصاد الانجليزي الذي ساد انجلترا بعد الانقلاب الصناعي والذي أسسه سميث ودافيد ريكاردو اللذان أثارا نظرية القيمة في العمل وتأثر ماركس كذلك بالمذهب الاشتراكي الفرنسي في حينه لقد كان ماركس فيلسوفا ومفكرا ماديا ألف مع زميله فريديرك أنجلز مجموعة من الكتب شرحا فيها أفكارهما ويعدان أول المؤسسين للشيوعية الحديثة التي بدأت من ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثم تابعها في نفس الاتجاه لينين وغيره من مفكري المادية أو الماركسية أو الشيوعية الحديثة في القرن العشرين وهو صاحب مقولة: "الدين هو أفيون الشعوب" لأن الدين في نظره لا يشجع الفكر الحر الذي ينتج بل يبقيهم كالمخدرين دون طموح للتقدم والتغيير.(بوجلال.م، 2015، ص 79)

مارس ماركس العمل الصحفي وشارك في الأعمال السياسية الثورية بما في ذلك تكوين الرابطة الدولية للعمال مما جعله يطرد من ألمانيا، حيث يقول: "إن الجو هنا خانق لا يحتمل ليس من اليسير على المرء أن يتذلل من أجل الحرية لقد سئمت النفاق والغباء وفظاظة الموظفين الرسميين وتعبت من طأطأة الرأس وابتكار العبارات التي لا خطر منها ولا ضرر من ورائها إن ألمانيا لم يعد فيها ما أستطيع أن أفعله إن المرء لا يستطيع أن يكون غير أمين مع نفسه"، عارض بشدة الأفكار البورجوازية الاشتراكية التي كانت سائدة خاصة في فرنسا، ومن وجهته رفض ماركس منذ البداية دعاوى الوضعية وأصر على مشروعية التنوير وقبل قضايا الفلسفية النقدية التي رفضها كونت ثم طورها ونماها ماركس واستخدمها في التفسير والتحليل وكانت فكرة اكتمالية الإنسان من الأفكار المبدئية التي بني عليها ماركس تحليله ونقده للنظام الرأسمالي وتصوره لإمكان قيام مجتمع إنساني حقيقي بمعنى أن الإنسان له القدرة على الوصول إلى الاكتمال بصورة لا حدود لها والنظرة إلى الإنسان ليس أكثر من (دابة عاملة) فهو ليس مضطرا لأن

يظل على هذه الحال لأنه يستطيع أن يتوصل إلى أعلى مراتب الخلق والابتكار فكرا وعملا لكن الظروف الاجتماعية الموجودة في كل المجتمعات الطبقية تكبت القوى الخلاقة والكامنة في الإنسان .

تأثر ماركس بالثورة الصناعية في انجلترا ومنظريها وبالثورة السياسية في فرنسا وثوارها وبالثورة الثقافية في ألمانيا ومفكريها، وقد جعل البعض ينظر إليه كأعظ مورث للاقتصاد السياسي الإنجليزي والاشتراكية الفرنسية والفلسفة الألمانية وعدت هذه مصادر الماركسية الثلاث التي استطاع أن يخرج منها بحصاد فكري هائل، ويرى ماركس أنه لا يمكن فهم العلاقات الإنتاج وربط علاقات الإنتاج بالقوى الإنتاجية وعلى أساس مفهوم التكوين الاقتصادي والاجتماعي أمكن لماركس تقسيم تطور المجتمعات إلى المراحل الست التالية: المرحلة الجماعية البدائية، مرحلة العبودية، مرحلة الإقطاع، المرحلة الرأسمالية، المرحلة الاشتراكية، المرحلة الشيوعية.

2- **علم الاجتماع عند ماركس:** رغم أّن ماركس لم يخصص كتابا خاص بعلم الاجتماع، فان كتاباته التي تنتمي إلى الاقتصاد، السياسة والفلسفة تمثل محاولة منظمة لإقامة "علم المجتمع". رفض تسمية علم الاجتماع وسّماه بـ: علم المجتمع، كما رفض ماركس الفلسفة الوضعية عند كونت، واعتبرها ذات طابع ميتافيزيقي. يمكن تلخيص موضوع علم الاجتماع عند ماركس من خلال ما ذهب إليه رايت ميلز، فإذا كان علماء الاجتماع يدرسون تفاصيل وحدات اجتماعية صغرى، فإن ماركس يدرس نفس هذه التفاصيل على مستوى بناء المجتمع في كليته، كما أّن ماركس يأخذ الحقبة بأكملها باعتبارها وحدة الدراسة مستخدما في ذلك المواد التاريخية.

اهتم ماركس بمواضيع تنتمي لعلم الاجتماع مثل: الطبقات الاجتماعية، الصراع الطبقي، الاغتراب، الدولة .

الطبقات: حسب ماركس هي جماعات من الناس واحدة تستغل عمل الأخرى، حسب اختلاف موقع كل منها في نسق الاقتصاد القائم في المجتمع. وفّرق بين طبقتين كبيرتين هما: البرجوازية والبروليتارية.

يعّرف لينين الطبقة الاجتماعية بقوله:" الطبقات عبارة عن جماعات من الناس كبيرة العدد تتميز عن بعضها تبعا لموقعها في أحد أنساق الإنتاج الاجتماعي، (وهي علاقة يمكن التعبير عنها وصياغتها في قوانين محددة واضحة)، وتبعا لدورها في التنظيم الاجتماعي للعمل وبالتالي تبعا لنوع حصولها على نصيبها من ثروة المجتمع وحجم نصيبها هذا، فالطبقات عبارة عن جماعات من الناس تستطيع إحداها

استغلال عمل الأخرى تبعا لتباين موقع كل منها في نسق الاقتصاد القائم في المجتمع"، يقول ماركس: "دعني ألخص لك أنه كلما كان الإنتاج الرأسمالي كلما كان تقسيم العمل واتسع استخدام الآلات وكلما اتسع تقسيم العمل واستخدام للآلات اتسعت المنافسة بين العمال واتجهت أجورهم نحو الانكماش وتلك أول الظروف الموضوعية لنشأة الطبقة العمالية.

3- أهم إسهاماته في علم الاجتماع:

- إعطاء مضمون جديد لتحليل البناء الاقتصادي للمجتمع من خلال سياق التطور التاريخي للعمل الإنساني باعتباره علاقة أولية بين الإنسان والطبيعة وتصنيف المجتمعات على أساس نظمها الاقتصادية.
- أكد على أهمية تفسير العوامل السوسيولوجية في ضوء تفسير العوامل التاريخية ارتكز تحليل ماركس في تحليله للظواهر الاجتماعية على العوامل المادية مبتعدا على الغيبيات والروحانيات مما يخضع الظواهر لدراسة علمية.
- فكرته الجديدة القائمة على تحليل البناء الفوقي الأيديولوجي وعلاقته بما سماه الأساس الحقيقي للمجتمع: فكرته في أن الوجود هو الذي يحدد وعيه وشعوره، والنظرية الاختيارية للفعل الاجتماعي هي أن الثورة لا تحدث من تلقاء نفسها وإنما يدفع بها الناس .

نظر ماركس إلى الإنسان كموجود واقعي نوعي خلاق ورأى للمجتمع مسارا ديناميكيا متغيرا وطلبا لتدخل البشري لإصلاح المسار وتغييره تغييرا مقصودا إليه، هذا وقد رفض ماركس أن يكون المجتمع مجموعة من الأفراد تتحكم فيها نوازعهم النفسية مما ساعد على بلورة الموضوع السوسيولوجي بما هو اجتماعي وكانت المفاهيم الأساسية في نظرية ماركس سوسيولوجية وكلية بنائية يمكن دراستها وتحليلها وجمع شواهدها المعاصرة والتاريخية كذلك استهدفت تصورات ماركس الحالات المستقبلية فموقفه تفسيري وليس تبريري.(شروخ.ص، 2005، ص 82)

يتألف الفكر الماركسي من مكونين أساسيين: هما المادية الجدلية والمادية التاريخية، ويؤكد رواد هذه النظرية أن المادية التاريخية تزود علم المجتمع بإطاره الأساسي الذي يقدم لهذا العلم إجابة علمية على المسألة السوسيولوجية المعرفية الأساسية وهي مسألة العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي ذلك الوجود الذي تعده المادية التاريخية واقعا موضوعيا مستقلا عن الوعي وترى الوعي انعكاسا قد يكون أقل أو أكثر دقة ووضوحا له وعلى هذا فالمادية التاريخية هي إطار علم الاجتماع العلمي الذي يدرس

القوانين العامة للتطور الاجتماعي وصور حدوثها وتجسداتها من خلال النشاط الاجتماعي التاريخي للإنسان ولا تعني محاولة توضيح المادية التاريخية ويمييزها هنا فصلها عن غيرها من المكونات إلا انه يساعد على الفهم والتحليل، فقضايا المادية التاريخية وكذلك فروضها هي الامتداد المحسوس لقضايا المادية الجدلية وفروضها لأن المادية الجدلية بمثابة الإطار الفلسفي العام في حين تعد المادية التاريخية الإطار السوسيولوجي الأساسي.

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم علم الاجتماع

ثانيا: فريدريك إنجلز: ولد في 28 نوفمبر 1820 في بارمن، بروسيا حاليًا فوبرتال، ألمانيا وتوفي في 5 أغسطس 1895 كان فيلسوف ورجل صناعة ألماني يُلقّب بأبو النظرية الماركسية إلى جانب كارل ماركس، اشتغل بالصناعة وعلم الاجتماع وكان كاتبا ومنظرا سياسيا وفيلسوفا يعتبر أب نظرية الماركسية بالإضافة إلى كارل ماركس نفسه في عام 1845، نشر كتاب هحالة الطبقة العاملة في إنجلترا اعتمادا على ملاحظاته وأبحاثه الشخصية في عام 1848، أصدر مع ماركس، بيانهما المشهور والمعروف ببيان الحزب الشيوعي، والذي يسم باختصارًا البيان الشيوعي فيما بعد، ساعد كارل ماركس ماديا من أجل أن يكتب هذا الأخير كتابه الرأسمال، بعد وفاة ماركس، نشر إنجلز الجزئين الثاني والثالث من هذا الكتاب، إضافة إلى ذلك، نظم إنجلز مختلف تخمينات كارل ماركس، مما أعطى الجزء الرابع من كتاب الرأسمال.

إنجلز وماركس: في عام 1844، التقى فريدريك إنجلز في باريس بكارل ماركس، والذي كان يراسله منذ مدة في باريس، تأثر ماركس بفكر الاشتراكيين الفرنسيين و الحياة الفرنسية ، وهناك كتب إنجلز وماركس كتاب «العائلة المقدسة أو انتقاد النقاد»، قبل عام من صدور كتاب «حالة الطبقة العاملة في إنجلترا»، ليضع الأسس للاشتراكية العلمية.

بعد حركة 1848 – 1849، لم يكن نشاط ماركس وإنجلز في المنفى في ميدان العلم فقط، فقد أسس ماركس في سنة 1864 «جمعية العمال العالمية» التي قادها لمدة عشر سنوات، وكذلك أسهم إنجلز بقسط نشيط في شؤونها، أما الجمعية العالمية التي كانت حسب فكرة ماركس توحد البروليتاريين من جميع البلدان فقد كان نشاطها ذا أهمية كبرى في تطور الحركة العمالية وبعد وفاة ماركس، أصبح إنجلز المستشار والمرشد للاشتراكيين الأوروبيين توفي فريدريك إنجلز في 5 أغسطس 1895 في لندن.

المحاضرة التاسعة: نظرية الفعل الاجتماعي في علم الاجتماع:(ماكس فيبر 1864-1920)

أولا: مفهوم الفعل الاجتماعي: تحلل مدرسة الفعل الاجتماعي العلاقات إلى أبسط وحداتها وهي الفعل الاجتماعي، والفعل الاجتماعي ذي المعنى يحمل معنى مشتركا بين عدة أشخاص داخل المجتمع أو بين الفاعل والآخرين الذين يتفاعل معهم، ويرى ماكس فيبر أن الفعل الإنساني هو اجتماعي بقدر ما يدخل في الحسبان سلوك الآخرين وبمقدار ما يتأثر بهم في مجراه وذلك من جراء واقع الدلالة الذاتية التي يعلقها بهذا الفعل أو الأفراد الذين يتصرفون.

والفعل الاجتماعي كوحدة أساسية وأولوية للمجتمع أن الواقع الاجتماعي ليس حصرا داخل الأفراد ولا هو فقط خارج عنهم إنه في الواقع عملية تفاعل بين البيئة والموقف الاجتماعي من جهة بقدر ما يحمل ذاتية وخصوصية الفرد من جهة أخرى.(Max Weber ، 1963، ص 186)

ثانيا: التصور السوسيولوجي عند فيبر: سعى فيبر إلى فهم طبيعة التغير الاجتماعي فالعامل الاقتصادي مهم في نظره إلا أن الآراء والقيم لها تأثير مماثل على التغير الاجتماعي ورأى أن على علم الاجتماع أن يركز على الفعل الاجتماعي لا على البنية الاجتماعية فبمقدور الآراء والقيم والمعتقدات أن تساهم في التحولات الاجتماعية وبوسع الفرد أن يتصرف بحرية ويرسم مصيره في المستقبل ولم يكن يرى فيبر أن للبنى وجودا مستقلا عن الأفراد بل أنه كان يرى أن البنى في المجتمع إنما تتشكل بفعل تبادلي معقد بين الأفعال ومن هنا فإن واجب عالم الاجتماع أن يتفهم المعاني الكامنة وراء هذه الأفعال، ومن هذا المنطلق فإنه يعرف علم الاجتماع بأنه العلم الذي يحاول تحقيق الفهم التفسيري للفعل الاجتماعي من أجل التوصل إلى التفسير العلمي لمساره ونتائجه ويتبنى هذا العلم منهجا معينا لدراسة الأفعال والعلاقات الاجتماعية أطلق عليه منهج الفهم، ويستهدف هذا المنهج عنده ضمان تحقيق الموضوعية والحياد العلمي والابتعاد عن أحكام القيمة في علم الاجتماع، ويقصد بمنهج الفهم محاولة تقديم تفسير للأفعال الاجتماعية للناس من خلال التعرف على دوافعهم الداخلية التي تدفعهم للقيام بأفعال معينة داخل موقف تاريخي ورمزي معين ويشير فيبر إلى وجود مستويين لفهم الظواهر الاجتماعية. (حامد.خ، 2015، ص 88)

ويرى فيبر أنه من الصعب وضع منهج عام يخدم أغراض الدراسة الاجتماعية ويصلح أساسا للنظرية الاجتماعية في مختلف الميادين، ولذلك فمن الأفضل أن يقتصر علم الاجتماع على الوصول إلى

نظريات ومبادئ عامة مجردة مستخلصة من دراسة التطور التاريخي للحقائق الاجتماعية وقد استخدم هذه الطريقة في دراساته المقارنة للبحث في نشأة وقيام التنظيمات السياسية والاقتصادية.

1- **تصنيف الفعل الاجتماعي عن فيبر:** يصنف فيبر الفعل الاجتماعي إلى أربعة أنماط وهي:

أ- **الفعل العقلاني:** بصفة عامة فإن الفعل العقلاني توجهه غايات محددة ووسائل واضحة فالفاعل يضع في اعتباره الغاية والوسيلة ثم يقوم بتقويمها عقليا إذ يرى آرون أن هذا النمط يشبه ما أطلق عليه باريتو السلوك المنطقي فالمهندس الذي يصمم مشروعا أو القائد ... أمثلة للفعل العقلاني.

ب-**الفعل العقلاني الذي توجهه قيم مطلقة:** يكون الفاعل في هذه الحالة مدركا للقيم المطلقة التي تحكم الفعل وهي قيم يمكن أن تكون أخلاقية أو دينية وجمالية ويختار الفاعل الوسائل التي تدعم إيمانه بالقيمة.

ت- **الفعل العاطفي:** هو فعل صادر عن حالات شعورية وعاطفية خاصة وذاتية يعيشها الفاعل.

ث-**الفعل التقليدي:** هو سلوك تمليه العادات والتقاليد، وتحتل هذه الأنماط أهمية خاصة في النسق السوسيولوجي فهو دراسة شاملة للفعل الاجتماعي.(حامد.خ، 2015، ص 90)

2- **النموذج المثالي:** استعان فيبر بما أسماه النموذج المثالي لتحديد مجموعة من العناصر التي يمكن أن تتوافر في تنظيم بيروقراطي مثالي وهو يرى أن البيروقراطية أكثر الصور كفاءة للتنظيم الإداري لأن الإنجاز المنظم والمحكوم بقواعد محددة مع وجود نظام متسلسل للسلطة يؤديان إلى وجود أعمال متسقة تسعى نحو تحقيق الأهداف التنظيمية، ويرتبط مفهوم البيروقراطية ارتباطا وثيقا بمفهوم السلطة أو القوة عند فيبر إذ تعتبر السلطة عنصر من عناصرها على أنه يجب أن نميز السلطة عن غيرها من صور التأثير الاجتماعي فالسلطة تعني وجود فاعل معين في وضع اجتماعي معين يمكنه من تنفيذ إرادته أو رغبته الخاصة دون مقاومة وكذلك ترتبط السلطة بالقانون كما أن السلطة بمثابة بعد هام في التدرج الطبقي، ويرى فيبر ثلاثة نماذج أساسية للسلطة يجب النظر إليها مع تطورها التحليلي واستخدامها الإمبريقي ويمكن أن ينهض صدق ادعائها بالشرعية على الأسس التالية:

- **أسس معقولة:** أو رشيدة تستند إلى الاعتقاد في شرعية القواعد المعيارية وأحقية أولئك الذين ارتفعوا إلى مناصب السلطة في ظل هذه القواعد ليصدروا الأوامر.(السلطة الشرعية)

- **أسس تقليدية:** وتستند إلى اعتقاد قائم في قداسة الأعراف أو التقاليد القديمة ومشروعية مكانة أولئك الذين يمارسون السلطة في ظلها.(السلطة التقليدية)
- **الأسس العظيمة:** أو الملهمة (الكاريزما) وترتكز على الولاء إلى البطولة والقداسة الخاصة والإستثنائية أو الشخصية المثالية لأحد الأفراد وللانماط المعيارية أو النظام الذي يرفضه ويرسم معالمه.(السلطة الكارزمية)

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف قسم علم الاجتماع كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية

وبعد تحليل فيبر نماذج السلطة يرى أن الإدارة البيروقراطية هي الإدارة الأكر كفاءة ومعقولية في إدارة التنظيمات ذات الحجم الكبير والتي قد ظهرت واعتمد عليها النظام الاجتماعي الحديث في مجالات عديدة متباينة.

ثالثا: الدين والفعل الاجتماعي: الرأسمالية وأخلاق البروتستانتية (دور القيم في بناء النظام الرأسمالي): درس فيبر الدين كظاهرة اجتماعية محاولا الكشف عن تأثيره على الاقتصاد ولم يعالج فيبر مختلف جوانب الدين بوصفه ظاهرة اجتماعية بل اكتفى بدراسة الأخلاقيات الاقتصادية للدين ثم درس طبيعة الأخلاقيات الاقتصادية في معظم الديانات وآثارها على التنظيم الاقتصادي والحياة الاجتماعية للشعوب التي تنتمي إلى هذه الديانات، وقد اكتسبت دراسته الشهيرة عن الأخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية أهمية كلاسيكية في العلوم الاجتماعية إذ ينتقد في هذه الدراسة التفسير الماركسي الاقتصادي للتغير التاريخي وأوضح فيها علاقة الارتباط بين نشأة الرأسمالية وظهور البروتستنتية ويحصر فيها الخصائص النموذجية المثالية للرأسمالية الحديثة في المشروع الاقتصادي القائم على التنظيم العقلي والذي تتم إدارته وفقا لمبادئ علمية والثروات الخاصة وإنتاج السوق ومن أجل المال والحماس المتزايد والروح المعنوية العالمية والمبادأة والقدرة على الاختراع، وترفض رفضا تاما النزعة التقليدية أو الخيالية أو اللاعقلية، ويرى فيبر أن الرأسمالية الحديثة قد نشأت من خلال العقيدة البروتستنتية فروح الرأسمالية هي نفسها روح البروتستنتية بما تتضمنه من سلوك وأخلاقيات عملية إذ وجد فيبر أن العقيدة البروتستنتية تهتم اهتماما كبيرا بتنشئة الفرد عقليا وتمنح المهنة قيمة أخلاقية كبيرة كما أنها تقدس العمل وتعتبر تأديته بأمانة وحماس واجبا مقدسا.

ويرى فبير أن نمط الفعل الأكثر تمييزا للمجتمع الرأسمالي هو الفعل الرشيد عمليا أي الفعل المنظم منطقيا لتحقيق أهداف معينة ويزعم أن التنظيمات الكبيرة والتي تتصف بالتسلسل الهرمي والتنظيم المعقد للعمل هي المثال الرئيسي الذي يجسد الفعل الرشيد في المجتمع الرأسمالي ويذهب إلى أبعد من هذا حيث يزعم

أن فيبر الفعل الرشيد هو أيضا النمط السائد للفعل في المجتمعات الاشتراكية والحقيقة أن فيبر كان يؤمن بأن الفعل الرشيد خصيصة من خصائص المجتمعات الحديثة ذاتها والبيروقراطية هي الطريقة والتي يتم بها التعبير عن التفكير الرشيد والعلمي في شكل تنظيمي ويرى فيبر أن التفكير والفعل الديني والتقليدي يميل إلى الانحسار أمام الزحف السريع للمنطق والعلم وأشار إلى هذه العملية بتعبير شعري هو مصطلح "التحرر من الوهم".

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف - كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية قسم علم الاجتماع

وفيبر يتناول الدين كأحد متغيرات التغير الاجتماعي وكي تؤدي المبادئ والقيم الدينية دورها في التغيير فإن ذلك يعتمد على وجود طبقة اجتماعية أو جماعة تدرك معاني هذا الدين الجديد وتحاول فرض هذه المعاني على واقع المجتمع لتحل محل المعاني القائمة أو القديمة وينتصر الدين الجديد.(ليلة.ع، 2015، ص 16)

رابعا: الانتقادات الموجهة لنظرية الفعل الاجتماعي:

- إن النقد الموجه لفيبر في أنه لم يحقق مهمة دمج الذات مع البناء وبقي يتأرجح بينهما فقد اتجهت أعمال فيبر أكثر إلى علم الاجتماع البنائي في حين أن مقصده كان محاولة تطوير علم اجتماع الفرد أو علم اجتماع المعنى الذاتي.
- أما النقد الثاني فهو أن تصوره عن سيادة البيروقراطية في المجتمع الحديث أبخس من أهمية وتواتر الأشكال التنظيمية الأخرى ومن قدرة الناس داخل الأجهزة البيروقراطية على اكتشاف طرائق للعمل أقل رسمية وأكثر إشباعا وفاعلية وفي هذا تهكم على فيبر بالنظر إلى تعهده الشخصي بفهم الفردية وثمة تناقض في صميم خيال فيبر وفي علم الاجتماع لديه.(عبد الجواد.م، 2009، ص 183)

المحاضرة العاشرة: البنائية الوظيفية:

أولا: تعريفها: يقصد بمفهوم البناء الوظيفي أو البناء الاجتماعي مجموعة العلاقات الاجتماعية المتباينة التي تتكامل وتتسق من خلال الأدوار الاجتماعية فثمة مجموعة من الأجزاء مرتبة متسقة تدخل في تشكيل الكل الاجتماعي وتتحدد بالأشخاص والزمر والجماعات وما ينتج عنها من علاقات وفقا لأدوارها الاجتماعية التي يرسمها لها الكل وهو البناء الاجتماعي.(بوجلال.م، 2015، ص 102)

إن المدخل البنائي الوظيفي لتحليل النسق الاجتماعي هو اتجاه يستند لمنطق تكامل المعرفة حول المجتمع بدراسته ككل وعلى هذا الأساس شاع الاتجاه نحو دراسة الأبنية الجزئية الداخلية لأي بناء كلي متكامل على أساس معرفة وظائفها وكشف العلاقات المتبادلة التي تربط بين الأبنية الجزئية لهذا الكل وذلك لإمكان تفسيرها تفسيرا صحيحا ومن ثم يمكن القول بأن البنائية اتجاه منهجي يقوم على الربط بين أجزاء أي بناء كلي لكشف ما بينهما من روابط وعلاقات.(بوجلال.م، 2015، ص 104)

والنظرية الوظيفية في علم الاجتماع العام تطلق على الأعمال أو المهن أو الخدمات الضرورية لحفظ بقاء المجتمع ولهذه الوظائف الاجتماعية قسمين هما: الوظائف الخاصة التي يمارسها الأفراد بأنفسهم، والوظائف العامة التي تمارسها الدولة كوظائف الأمن والدفاع والقضاء وغيرها، أما الوظيفية من منظور علم الاجتماع التنظيم والعمل هي أحد الاتجاهات النظرية التي تنظر إلى التنظيم على أنه مجموعة من البناءات الجزئية المتكاملة هيكليا وماديا ومتكاملة من حيث وظائف وأدوار محددة يقوم بها كل فرد أو جماعة وكل قسم من أقسام التنظيم بحيث أن أي خلل في ذلك يؤدي إلى ضياع أهداف المنظمة.(بوجلال.م، 2015، ص 105)

ثانيا: نشأتها: إن نشأة الاتجاه الوظيفي واتساع نطاقه قد تأثر إلى حد كبير بالاهتمام الواضح بين العلماء بفكرة الوظيفة وقد تحددت معالمها في إطار علم الاجتماع إلا أنها واضحة وسابقة في علم البيولوجيا وعلم النفس والأنثروبولوجيا الثقافية، وذلك لأن علم البيولوجيا يتناول الوظائف التي تقوم بها أعضاء الكائن الحي للحفاظ على بقائه، كما يؤدي هذا العضو بدوره وظائف للنوع الذي ينتمي إليه باعتباره يمثل نسقا يتألف من مكونات متناسقة ترتبط فيما بينها ارتباطا وظيفيا، (بوجلال.م، 2015، ص 101)

والاتجاهات الوظيفية في جملتها تعبر عن نموذج دراسي تم اشتقاقه عند استخدام المماثلة بين المجتمعات الإنسانية والكائنات البشرية وهو يرتكز على دوافع الفاعل- الإنسان- في الموقف، منذ العقود الأولى

للقرن العشرين أخذت الوظيفية بالهيمنة على ساحة علم الاجتماع خاصة بعد أن نشطت المدرسة الأنجلوسكسونية التي ضمت كلا من روبرت ميرتون وراد كليف براون وتالكوت بارسونز ومالينوفسكي في إنجاز أبحاث استندت إلى النظرية الوظيفية أو ما عرف بالبنائية الوظيفية، ولقد ظهرت النزعة الوظيفية باعتبارها اتجاها فكريا متكاملا في القرن العشرين في كتابات اثنين من الأنثروبولوجيين هما مالينوفسكي وراد كليف براون فقد تأثر كل منهما بالنزعة العضوية عند دوركايم مثلما تأثرت أفكارهما بدراستهما الحقلية في المجتمعات البدائية وبالرغم من تماثل الجذور الفكرية لكل منهما فتكشف معالجتهم الكثير من القضايا وقدرتهما على رؤية الأشياء وأهميتهما النسبية عن عدد كبير من القضايا المختلف عليها.(رائد.إ وآخرون، 2023، ص 17-24)

ثالثا: أسسها :

النسق الاجتماعي: يعتبر مفهوم النسق الاجتماعي من المفاهيم المركزية للنظرية البنائية الوظيفية التقليدية أو المعاصرة وهذا ما يظهر في تحليلات بارسونز وذلك بالنظر إلى المجتمع على أنه بناء اجتماعي يتكون من الأنساق الفرعية المتبادلة وظيفيا مثل النسق الاقتصادي والسياسي والديني....، كما حاول بارسونز وغيره من رواد البنائية الوظيفية أن يعرضوا لأهم العوامل والمتطلبات الوظيفية التي تساهم في عملية استقرار النسق الاجتماعي والمجتمع واستمرار توازنه وبقائه وهذا ما جعل فكرة النسق ترتبط بمقولات أخرى مثل التوازن والتكامل والتكيف، وقد حرص رواد النظرية البنائية الوظيفية التقليدية والمعاصرة على تحليل فكرة البناء الاجتماعي وتطوره تاريخيا وذلك بدراسته وتحليله من منظور تاريخي مقارن كما حاولوا الاستعانة بالكثير من تحليلات الأنثروبولوجيين من أمثال مالينوفسكي وراد كليف براون وغيرهم ممن استخدموا فكرة البناءات والأنساق الاجتماعية وخاصة عند اهتمامهم بطبيعة العلاقات المتبادلة بين الأنساق والنظم الاجتماعية. (حامد.خ، 2015، ص 99-101)

وقد ركز بارسونز على ضرورة وضع ما يعرف بالمتطلبات الوظيفية والتي تكمن داخل عمليات أربعة وهي:

- **التكيف:** يتطلب النسق التكيف مع البيئة التي تحيط به وأن يقوم أيضا بتأمين مجموعة من الوسائل المادية والمعنوية الضرورية لحياة أعضاء النسق.

- **تحقيق الهدف:** وذلك بتحديد الأولويات أو الضروريات اللازمة لتحقيق أهداف المجتمع أو النسق وذلك عن طريق التنسيق بين مجموعة المدخلات والموارد اللازمة والعمل على استخدامها بصورة مثلى لتحقيق حاجات وأهداف النسق.
- **التكامل:** إن مكونات النسق سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو نظم فرعية لا بد أن يتكاملوا من أجل تحقيق الأهداف العامة وإنجاز الوظائف وذلك باعتبارهم أجزاء من البناء الاجتماعي.
- **المحافظة على النمط وإدارة التوتر:** أكد بارسونز على أهمية المحافظة على النمط وذلك عن طريق طرح عدد من الخصائص والسمات العامة التي تتمثل في المهارات اللازمة والتخصص والحوافز المادية والمعنوية والسمات الشخصية للقيادات والأعضاء مع ضرورة الالتزام أيضا بمنظومة القيم الاجتماعية التي تسهم في خفض معدلات التوتر أو التصدع التي قد تنشأ خلال عمليات التفاعل الاجتماعي.(العزوزي.ف، 2006، ص 68)

رابعا: مبادئها:

- النظرة الكلية للمجتمع باعتباره نسقا يحتوي على مجموعة من الأجزاء المتكاملة بنائيا والمتساندة وظيفيا لبلوغ النسق لأهدافه.
- استناد العملية الاجتماعية لتعدد العوامل الاجتماعية وتبادل التأثير فيما بين تلك العوامل.
- رغم أن التكامل لا يكون تاما على الإطلاق إلا أن الأنساق الاجتماعية تخضع لحالة من التوازن الدينامي والذي يشير لقيام حالة الاستجابة التلاؤمية للتغيير الخارجي والتي تعززها آليات التلاؤم والضبط الاجتماعي.
- أن التوترات والانحرافات والقصور الوظيفي يمكن أن تقوم داخل النسق غير أنها تحل نفسها بنفسها وصولا للتكامل والتوازن.
- يحدث التغير بصفة تدريجية تلاؤمية أكثر مما يحدث بصفة فجائية.
- يأتي التغير من مصادر ثلاثة رئيسية تتمثل في تلاؤم النسق وتكيفه مع التغيرات الخارجية والنمو الناتج من الاختلاف الوظيفي والثقافي والتجديد والإبداع من جانب أفراد المجتمع وجماعاته.
- أن العامل الأساسي والهام من خلق التكامل الاجتماعي يتمثل في الاتفاق العام على القيم.
- إن المجتمع كنسق محدود ينظم نفسه بنفسه وينزع نحو التجانس والتوازن.

- لما كان المجتمع نسقا يحافظ على استمراره وبقائه مثله مثل الكائن العضوي فإن المجتمع لديه حاجات ولزوميات أو مطالب أساسية محددة ينبغي أن تشبع ليكتب للمجتمع البقاء أو ليحافظ على تجانسه وليستمر التوازن.
- يجب على عالم الاجتماع أن يركز في تحليله العلمي الاجتماعي لنسق المحافظة على الذات والحاجات والنسق، ويركز على وظيفة الأجزاء في إشباع حاجات النسق ومن ثم المحافظة على التوازن والتجانس.
- من الضروري أن توجد داخل الأنساق التي تتصل بالحاجات أنماط معينة من الأبنية تكفل البقاء أو التوازن أو التجانس .(تيرنر.ج، 2000، ص 29)

خامسا: نقدها:

- لم يحدد بوضوح الاتجاه الوظيفي العلاقة بين المجتمع والفرد.
- لم يهتم أنصار الوظيفية بالتغير وركزوا على الاستقرار في المجتمع ورغم أن التغير جزء من طبيعة المجتمع ولم يحاولوا أن يفسروا أسباب تغير المجتمعات .
- التحيز الأيديولوجي إنها نظرية لتبرير المجتمع الرأسمالي وذلك لتجاهلها الكثير من مشكلات المجتمعات الحديثة كالتمايز الطبقي والعنصري والتطرف والفقر.
- صعوبة التوصل إلى نظرية عامة موحدة إذ أن روادها أخفقوا في وضع نظرية سوسيولوجية متكاملة وموحدة.
- التركيز على الطابع الإستاتيكي وإهمال الصراع وذلك باعتمادها مسلمات التوازن والتكامل وإدارة التوتر.(حامد.خ، 2015، ص 105-106)

المحاضرة الحادي العشرة: نظرية الفعل والنسق: تالكوت بارسونز(1902-1979)

أولا: مؤسسها: تالكوت بارسونز: هو مؤسس الوظيفية الحديثة، وتحاول نظرية الأنساق الاجتماعية عند بارسونز التوليف بين المنظور البنائي الاجتماعي عند دوركايم ومنظور الفعل الاجتماعي عند فيبر، ويرى بارسونز أن الناس يكتسبون القيم والمعايير والأدوار الأساسية من خلال التنشئة الاجتماعية وأن النجاح في استدماج قيم المجتمع ومعاييره وأدواره شرط لازم للنظام الاجتماعي وأن الإخفاق في اكتسابها أو قبولها علامة على الانحراف، ونظر بارسونز إلى المجتمع على أنه شبكة واسعة من الأجزاء المترابطة كل جزء منها يساعد في المحافظة على النظام ككل ويزعم المدخل الوظيفي أنه إذا لم يسهم جانب ما من جوانب الحياة الاجتماعية في استقرار المجتمع أو بقائه أي إذا لم يقم بوظيفة مفيدة محددة أو يعزز من الإجماع القيمي بين أعضاء المجتمع فلن ينتقل هذا الجانب من جيل إلى الجيل الذي يليه، كان بارسونز تواقا إلى تمييز نظرية الفعل عن النزعة السلوكية والحقيقة أنه استخدم مصطلح "الفعل" لأن له دلالة تختلف عن دلالة مصطلح "السلوك" فالسلوك يعني الاستجابة اللآلية للمثير في حين يدل الفعل على عملية ذهنية إبداعية مفعمة بالنشاط، وقد أوضح بارسونز منذ البداية أن نظرية الفعل لا يمكنها أن تفسر الأبنية والنظم الاجتماعية تفسيرا ملائما مع أنها تستطيع البحث في أهم صور الحياة الاجتماعية وكان ذلك نذيرا لما لمسه كثيرون في الأعمال الحديثة لبارسونز حيث تخلى كلية عن نظرية الفعل ليتحول إلى الاتجاه الوظيفي البنائي وهو الاتجاه الأكثر ملاءمة لدراسة الأبنية الاجتماعية والثقافية.

ثانيا: نظرية الفعل: تعود جذور هذه النظرية إلى أعمال ماكس فيبر عن الفعل الاجتماعي ومع أن فيبر طوق أعماله بافتراضات عن الفاعلين والفعل إلا أن اهتمامه الحقيقي انصب على القيود الثقافية والبنائية المفروضة على الفاعلين وبدلا من أن تركز نظرية الفعل على هذا الجانب من أعمال فيبر انشغلت بالتحليل على مستوى التفكير والفعل الفرديين ويتضح ذلك من تلخيص "هنكل" للمرتكزات الأساسية لنظرية الفعل على النحو التالي:

- تنشأ الأنشطة الاجتماعية للأفراد من وعيهم بأنفسهم كفاعلين وبالآخرين وبالمواقف الخارجية كموضوعات للفعل.
- أن الأفراد كموضوعات للفعل يقومون بأفعالهم لتحقيق مقاصدهم ومراميهم وأهدافهم وغاياتهم وأغراضهم الذاتية.
- أنهم أي الأفراد يستخدمون الوسائل والأساليب والإجراءات والطرق والوسائط المناسبة.

- أن مسارات الفعل بين الأفراد تحدها أوضاع وظروف غير قابلة للتعديل.
- أن استخدام الإرادة والعقل هو الذي يمكن الأفراد من اختيار وتقدير وتقييم ما سوف يفعلونه وما يفعلونه وما فعلوه.
- أن المعايير والقواعد والمبادئ الأخلاقية يعتمد عليها الأفراد في الوصول إلى القرارات.
- أن أية دراسة للعلاقات الاجتماعية تستوجب من الباحث أن يستخدم أدوات البحث الذاتية مثل الفهم وإعادة التركيب التخيلي أو الوجداني أو الخبرة البديلة.

1- **وحدة الفعل:** تتمثل الظاهرة الأساسية في نظرية الفعل عند بارسونز فيما أسماه "وحدة الفعل" التي عرفها في ضوء أربعة عناصر:

أولها: أنها تدل على وجود فاعل.

ثانيها: أن وحدة الفعل تتضمن هدفا أو حالة مستقبلية يتجه إليها الفعل.

ثالثها: أن الفعل يحدث في موقف يشتمل على عنصرين الأشياء التي لا يستطيع الفاعل السيطرة عليها (الظروف) والأشياء التي يمكن للفاعل أن يمارس سيطرته عليها (الوسائل).

رابعها: المعايير والقيم التي تشكل اختيار الفاعل للوسائل المؤدية إلى الأهداف.

ونلمس في وحدة الفعل الاهتمامات التكاملية التي شغلت بارسونز طيلة حياته وعلى الرغم من أن بارسونز بدأ اهتمامه بالفاعلين وأفعالهم فقد ألمح إلى اهتمامه بالوعي بمعنى الاختيار الإرادي للوسائل المؤدية إلى الأهداف إلا أن هذا الاختيار ليس حرا مما يشير إلى الاهتمام من جانب بارسونز بالأبنية الاجتماعية التي تقيد الفعل وهنا تلعب الكينونات الثقافية دورا أساسيا مثل الدور الذي لعبته في أعمال بارسونز. (عبد الجواد.م، 2009، ص 371)

2- **مشكلات في نظرية الفعل عند بارسونز:** استهلك هدف دمج الفعل والبناء مساحة كبيرة من كتاب بارسونز "بناء الفعل الاجتماعي" وقد لاقى هذا العمل استحسان البعض في حين رأى فيه آخرون تشويشا وخلطا، ويرى أصحاب هذه الانتقادات أن بارسونز بدأ كتابه كمنظر للفعل بتوجه نحو الوحدات الصغرى إلا أنه قبل أن يفرغ من تأليف هذا الكتاب وبمرور السنوات تحرك أكثر فأكثر في اتجاه النظرية الوظيفية البنائية بتوجه نحو الوحدات الكبرى، إن وجود قدر من الخلط في بناء نظرية الفعل منذ البداية أحد الأسباب الرئيسية لتضاؤل أهميتها كما أن معظم الافتراضات

الأساسية لنظرية الفعل حول الوعي والفعل والتفاعل استعارتها النظريات الأخرى ذات التوجه المجهري مثل التفاعلية الرمزية والظاهراتية والمنهجية الشعبية وقامت بمعالجتها بطريقة أكثر اتساقا وتنسجم هذه الافتراضات انسجاما تاما مع جوانب أخرى لهذه النظريات بل إنها أكثر انسجاما مع هذه النظريات منها مع العناصر الأخرى لنظرية الفعل ويبدو أن توجه نظرية الفعل نحو الوحدات الكبرى قد ضاع مع هذه النظريات الأخرى وعلى الرغم من أن نظرية الفعل لم تتمكن مطلقا من تحقيق التكامل الملائم بين اهتماماتها على مستوى الوحدات الصغرى واهتماماتها على مستوى الوحدات الكبرى فإن ذلك لا يعني صعوبة تحقيق ذلك.(عبد الجواد.م، 2009، ص 374)

ثالثا: نظرية النظم (النسق): إذا كانت نظرية الفعل قد أفل نجمها منذ أن بلغت الذروة في الثلاثينات وأوائل الأربعينات فإن نظرية النظم مرت في أقل من عقدين بصعود مفاجئ وهبوط مذهل ولم تستطع نظرية النظم التي بزغت وأفلت في الستينات والسبعينات أن تفي بوعدها الذي آلته على نفسها لمناصريها الأوائل ونتيجة لذلك فقدت هذه النظرية بعضا من بريقها في علم الاجتماع ونظرية النظم نتاج مجموعة متنوعة من الأفكار العلمية التي وردت إلى علم الاجتماع من مجالات أخرى ثم أعيد صياغة هذه الأفكار لتطبيقها على الحياة الاجتماعية، والفوائد التي حققتها نظرية النظم لعلم الاجتماع تتمثل في:

- لأن نظرية النظم مشتقة من العلوم البحتة لأن هذه النظرية قابلة للتطبيق على جميع العلوم السلوكية والاجتماعية فإنها تبشر بلغة مشتركة توحد بين هذه العلوم.
- أن نظرية النظم متعددة المستويات ويمكن تطبيقها بدرجة متكافئة على أكبر الوحدات وأصغرها وأكثر جوانب العالم الاجتماعي موضوعية وذاتية.
- أن نظرية النظم تهتم بالعلاقات المتعددة بين مختلف جوانب العالم الاجتماعي ومن ثم تناهض التحليلات الجزئية للعالم الاجتماعي وتقوم نظرية النظم على حجة مؤداها أن العلاقة المعقدة بين الأجزاء لا يمكن دراستها بعيدا عن سياق الكل ويرفض أنصار نظرية النظم الفكرة القائلة بأن المجتمع أو المكونات الكبرى للمجتمع يتعين دراستها باعتبارها ظواهر اجتماعية متحدة ويكون التركيز على العلاقات أو العمليات عند مستويات مختلفة داخل النظام الاجتماعي.

- ينحو مدخل النظم إلى النظر في جميع جوانب النظام الاجتماعي الاثقافي على أنها سلسلة من العمليات المتعاقبة أو شبكات من المعلومات والاتصالات بصفة خاصة.
- أن نظرية النظم نظرية تكاملية بطبيعتها إذ أنها تتضمن الأبنية الموضوعية الكبرى وأنساق الرموز والفعل والتفاعل والوعي والوعي الذاتي ونظرية النظم تتناغم مع التكامل.
- تميل نظرية النظم إلى النظر في العالم الاجتماعي بلغة ديناميكية وذلك بتسليط اهتمام متزايد على النشوء والديناميات الاجتماعية الثقافية بصفة عامة وتختلف النظم اختلافا كيفيا لا كميا وتقوم العلاقات التبادلية بين الأجزاء في النظم الآلية على انتقال الطاقة وتقوم العلاقات التبادلية بين الأجزاء بين الأجزاء في النظم العضوية بدرجة أكبر على تبادل المعلومات منها على الطاقة أما في النظم الاجتماعية الثقافية فإن العلاقات التبادلية تقوم بدرجة أكبر على تبادل المعلومات.(عبد الجواد.م، 2009، ص 379-381)

1- مبادئ نظرية النظم:

- أن أنصار نظرية النظم يسلمون بالفكرة القائلة بأن التوتر حقيقة طبيعية ودائمة وضرورية من حقائق النسق الاجتماعي.
- هناك تركيز على ماهية ومصادر التنوع في النسق الاجتماعي وهذا التركيز على التوتر والتنوع يجعل من منظور النظم منظورا ديناميكيا.
- هناك اهتمام بعملية الاختيار على المستوى الفردي وعلى المستوى بين الأشخاص حيث تكون الاختيارات المتعددة أمام النسق متنوعة ومتغيرة وهذا ما يضفي مزيدا من الدينامية.
- أن المستوى بين الأشخاص يعد أساس نمو الأبنية الأكبر إذ أن عمليات التبادل والتفاوض والمساومة هي العمليات التي تنبثق منها أبنية اجتماعية وثقافية مستقرة نسبيا.
- على الرغم من الدينامية الملازمة لمدخل النظم فهناك اعتراف بعمليات الاستمرار والتحول.(عبد الجواد.م، 2009، ص 384)

2- خصائص النظم:

- **يتميز النظام الاجتماعي بأنه تنظيم لنماذج التفكير والسلوك:** ويظهر هذا التنظيم خلال النشاط الاجتماعي وما يتصل به من إنتاج مادي وتخضع النظم لمجموعة من القواعد الاجتماعية السائدة في المجتمع.

- **أنها تلقائية:** فهي ليست من صنع الفرد ولكنها من صنع المجتمع والحياة الاجتماعية فالنظام سابق لوجود الفرد فكل مجال من مجالات الحياة الاجتماعية يخلق النظم الملائمة له التي تنظم العلاقات والتفاعلات الاجتماعية المرتبطة بذلك المجال.
- **للنظم الاجتماعية صفة العمومية:** وذلك لأنها تشمل كافة جوانب الظاهرة ويخضع لها جميع الأفراد المنخرطين ضمن هذا النظام.
- **للنظم الاجتماعية قوة الجبر والإلزام:** فهي تفرض نفسها على أفراد وجماعات المجتمع فهي تدعم بجزاءات معيارية قوية فهي نوع من أنواع الرقابة والضبط الاجتماعي.
- **تتداخل وتترابط النظم الاجتماعية فيما بينها:**من خلال عملية تفاعلية تبرز تأثر الأجزاء في إطار البناء الكلي لأنها تتكامل وظيفيا فيما بينها لأن كل نظام يختص بجانب من جوانب الحياة الاجتماعية.
- **تتميز النظم بالتعقيد:** إذ يدخل في تركيبها عناصر متداخلة ومتشابكة.
- **يتميز النظام الاجتماعي بدرجة نسبية من الاستمرار والدوام:** فأنساق العقائد وطرق العمل وغيرها لا تصبح نظما إلا بعد أن تصل إلى مرحلة القبول بصفة عامة خلال فترة مناسبة من الزمن فلها نوع من الثبات والاستقرار مما يؤدي إلى تثبيت دعائم الحياة الاجتماعية واستقرارها.(عثمان.إ، 2008، ص53)

3- **نقد نظرية النظم:** على الرغم من أنها كانت مثار اهتمام في بداية ظهورها إلا أنها أخفقت في أن تصبح النظرية الرئيسية في علم الاجتماع كما كان يأمل معظم أنصارها، انتقدوها في مماثلتها بين علم وآخر إذ أن هذه المماثلة لا تكون دقيقة بالضرورة، كما أنها تعد نظرية عمومية إذ تحقق عموميتها الشاملة على مستوى التجريد فحسب مع تجاهل الخاص والعياني والواقعي، كما أنها على درجة عالية من التأمل النظري، كما لا يمكن اختباها أو البرهنة على صحتها أو خطئها.(عبد الجواد.م، 2009، ص 385-386)

المحاضرة الثاني العشرة: رواد البنائية الوظيفية :

أولا: هربرت سبنسر: 1820-1903: يتصور المجتمع كائنا عضويا في ثلاثة عناصر:

1- التصور الكلي للمجتمع بمعنى أنه يشكل كل عضو متساند.
2- يتمثل في علاقة الجزء بالكل وتساند أجزاء هذا الكيان على مستوى أول ثم تساند هذا الكيان كجزء في كل أكبر وترابطه بنائيا وظيفيا.
3- يتمثل في التطور والانحلال الذي يخضع له النموذج المجتمعي وأسباب كل منهما.

بهذا الطرح فإن سبنسر قد وضع أسس التصور الوظيفي ولو أنه قد أخذ عنده طابعا بيولوجيا وهو الطابع الذي اختزله دوركايم بعد ذلك واستبدله بطابع اجتماعي لازم الاتجاه الوظيفي طيلة تاريخه بعد ذلك، وقد لاحظ سبنسر عديدا من أوجه التشابه بين الكائنات الاجتماعية والكائنات العضوية على النحو التالي:

1- يتميز كل من المجتمع والكائنات العضوية من المادة غير العضوية بالنمو الواضح خلال الشطر الأكبر من وجودها فالرضيع ينمو حتى يصبح طفلا فرجلا والدولة تصبح إمبراطورية.
2- تنمو كل المجتمعات والكائنات العضوية وتتطور في الحجم كما أنها تنمو في درجة تعقدها البنائي.
3- يصاحب التفاعل أو التمايز التقدمي في البناء سواء في المجتمعات أو في الكائنات العضوية تمايز تقدمي في الوظائف فكل عضو يؤدي وظيفة محددة لمركب الكائن العضوي.
4- يؤدي التطور سواء في المجتمعات أو الكائنات العضوية إلى تباينات في البناء والوظيفة وكل منهما يجعل الآخر ممكنا.
5- إذا كنا ننظر إلى الكائن الحي بوصفه جامعا لوحدات تعيش منفردة فإن مجموعة الكائنات البشرية أو المجتمع الإنساني يمكن النظر إليه بوصفه كاتبا.(بوجلال.م، 2015، ص 106-107)

ثانيا: إيميل دوركايم:1858-1917: ارتبطت الوظيفية كنظرية بشكل دقيق بأعمال دوركايم التي طرحت التفسير الوظيفي وقد كان أول من عالج بمحاولة منهجية لدراسة الوظيفة بطريقة علمية دقيقة، وفي بداياته الأولى التصق دوركايم بالنظرية العضوية التي أخذها عن سبنسر وبذلك يعد أول من صاغ منهجية لهذه المماثلة وفقا لمعيار الوظيفية حيث يرى أن حياة الكائن الحي عد التعبير الوظيفي للبناء

العضوي، كما أن الحياة الاجتماعية تعد التعبير الوظيفي للبناء الاجتماعي، ويحدد دوركايم معالم الوظيفية وفقا لما يلي:

1- رؤية المجتمع أنه نسق أو وحدة كلية تتألف من مجموعة من الوحدات المرتبطة مع بعضها البعض.
2- يسعى المجتمع بشكل عام باعتباره نسقا إلى إيجاد حالة من التوازن العام.
3- ثمة وجود واقعي وتصوري للمجتمع وأن ثمة اتفاق عام على القيم والمعايير من جانب أعضاء المجتمع.
4- أن الاتفاق على القيم والمعايير بين أفراد المجتمع يمثل الهدف النهائي للنظام العام.
5- أن تحليل البناء الاجتماعي وما يحويه من نظم وجماعات وفئات اجتماعية ينبغي أن يتم في إطار تحقيق استمرارية المجتمع وكذا في إطار نموه التطوري.

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف - قسم علم الاجتماع

واقترح دوركايم نوعين متعارضين للتفسير هما: التفسير الوظيفي والسببي ولم يستطع تقديم حلول لما هو ملائم منها لعلم الاجتماع أو أن يدرس وجه الارتباط بينهما .(بوجلال.م، 2015، ص 108-109)

أبعاد التصور الوظيفي عند إيميل دوركايم :

- قضية الضمير الجمعي كمرادف للبناء الاجتماعي إذ أنه الكيان الذي يستحق الاهتمام لأن وظيفته الأساسية هي الحفاظ على بناء الجماعة التي هي في الوقت ذاته حفاظ على الضمير الجمعي، كما أنه يربط جزئيات النسق بكليته.

- التكامل البنائي وهو الحالة المثلى للوجود البنائي السوي وتتحقق هذه الخاصية في أن الكل يترك في مجموعه من الأجزاء التي تبحث دائما عن صيغة مشتركة لتحقيق حالة من التكامل والاكتفاء الذاتي فيما بينها.

- التوازن حالة تحكم اتجاهية النسق وهو الحالة التي يستجيب فيها النسق بأسلوب ملائم لكافة القوى التي تمارس تأثيرا عليه .

- قضية التغير البنائي فالنسق لا يمكن أن يحي حالة استقطابية حيث يكون طرفاها إما توازنا ساكنا أو تغيرا ثوريا كاملا.

- السلوك الإنحرافي وقضية تكامل الأنساق فالظواهر الإنحرافية ترتبط بالبناء الاجتماعي أساس وليس الفرد لذا نجد في كل جماعة ميلا طبيعيا لارتكاب الإنتحار، فالسلوكات الإنحرافية ترجع إلى البناء الاجتماعي أي بمظاهر أو وحدان هذا البناء.

ثالثا: تالكوت بارسونز:1902-1979: أحد ممثلي التحليل البنيوي الأساسي ينفي علم الاجتماع، يعد أشهر عالم اجتماع وظيفي وعلى امتداد أكثر من نصف قرن من الكتابة والبحث استطاع بارسونز طبع علم الاجتماع بتحليلاته الوظيفية، إن أكبر مساهمة جاء بها بارسونز في علم الاجتماع هي تركيزه في التحليل السوسيولوجي على المجتمع ككل، واهتمام الوظيفية لدى بارسونز بالنظام الاجتماع يجعلها تنظر إلى ذاتها باعتبارها تهتم بالحاجات المشتركة لكل مكونات المجتمع الحديث لكن نفس هذا الاهتمام بالنظام والحفاظ على النسق جعلها تؤكد بعض جوانب تدعيم النمط في النسق دون جوانب أخرى، ويلاحظ هذا الوظيفي أن الرؤية الوظيفية تبدأ من الكلي وتتجه نحو الأحداث فعندما نرى جزئية في المجتمع فإننا سنحاول تفسيرها وليس العكس بأن نفسر المجتمع من خلال جزيئاته، ومن خلال نظريته للمجتمع يرى أنه يتكون من مجموعة من النظم المتفاعلة مع بعضها البعض والتي تكسبه قدرا من الاستقرار وأن الأنساق تخضع الأفراد لكوكبة من مكانيزمات الضبط الاجتماعي تلك التي تعمل على وحدة المجتمع دون تفكك فالضبط والقيم لهما دور مماثل في تحقيق التكامل الاجتماعي والاستقرار .(بوجلال.م، 2015، ص 116-117)

رابعا: روبرت ميرتون: 1910-2003: ينطلق ميرتون من ثلاث مسلمات وهي:

1- **الوحدة الوظيفية للمجتمع:** ترى هذه المسلمة أن كل العقائد والممارسات الثقافية والاجتماعية تؤدي وظيفة واحدة لكل من الأفراد والمجتمع ما تعتقد أن أجزاء النسق الاجتماعي تتمتع بدرجة عالية من التكامل وفي هذه النقطة بالذات يشير ميرتون إلى صحتها ولكن بالنسبة للمجتمعات البدائية الصغيرة وليس بالنسبة للمجتمعات الكبيرة المعقدة لذا ينبغي عدم تعميم هذه المسلمات.
2- **الوظيفية الشاملة:** تعني هذه المسلمة أن كل الأشكال والبنى الثقافية والاجتماعية في المجتمع تقوم بوظائف إيجابية ويرى ميرتون أن هذا قد يكون مخالفا لواقع الحياة إذ ليس بالضرورة أن تكون كل بنية أو تقليد أو عقيدة تتصف بوظائف إيجابية.
3- **ضرورة وجود الأجزاء:** ترى هذه المسلمة أن الأجزاء المكونة للمجتمع لا تقوم بوظائف إيجابية فحسب بل هي تمثل عناصر ضرورية لعمل المجتمع ككل وهذا يعني أن البنى الاجتماعية

والوظائف ضرورية بالنسبة لمسيرة المجتمع الطبيعية أي أنه ليس هناك بنى ووظائف أخرى قادرة على القيام بمسيرة المجتمع .

يؤمن ميرتون بأن العناصر الاجتماعية يمكن أن تكون لها انعكاسات سلبية على الإصلاح لذلك لجأ ميرتون إلى استعمال مفهوم "الاختلال الوظيفي" مقابل هذا السهو الخطير في النظرية الوظيفية إذ يرى ميرتون أن البنى والتنظيمات الاجتماعية مثلما تساهم في الحفاظ على الأجزاء الأخرى للنسق الاجتماعي للمجتمع مثلما يمكن أن تكون لهما انعكاسات سلبية أيضا، ويمكن رصد مجموعة من القضايا التي أضافها ميرتون إلى التحليل الوظيفي منها بشكل أساسي تمييزه بين الوظائف العلنية والوظائف الكامنة للظاهرة الاجتماعية وتحليله البدائل الوظيفية ومعالجته الظواهر اللاوظيفية، ففي إطار تمييزه الوظائف العلنية والكامنة أو المستترة للظاهرة الاجتماعية يجد ميرتون أن كل ظاهرة اجتماعية تحقق وظيفتين بآن واحد إحداهما علنية وظاهرة والأخرى كامنة ومستترة .(بوجلال.م، 2015، ص 118-119)

خامسا: مالينوفسكي: 1884-1942: قام بتفسير المؤسسات الاجتماعية بالنسبة لعلاقاتها بالمؤسسات الأخرى في المجتمع البشري الواحد ووضح أهميتها في إشباع وسد الحاجات البيولوجية لأعضاء المجتمع، استعمل المماثلة العضوية لكي يوضح وظيفة كل عضو من عناصر البناء في المحافظة على البناء الكلي وتطوره وتتمثل الفكرة الأساسية عنده أن الحضارة كمرادف للثقافة وكل نموذج حضاري بل وكل عادة من عاداته وكل موضوع مادي وكل فكرة وكل معتقد يحقق وظيفة حيوية عنده ليس فقط من الناحية الثقافية ولكن لكل عضو من أعضاء المجتمع وأن نتيجة المعطيات لا تحقق فقط وظيفة للنسق الثقافي وإنما تحقق وظيفة كل أعضاء المجتمع والثقافة ما هي إلا نسق من المناشط التي تلعب كل فيها دورا محددا وتؤلف فيما بينها كل متجانسا ومتساندا بين الأجزاء الأخرى المكونة للنسق العام، وضع بعض الأسس التي تقوم عليها النظرية الوظيفية وهي:

1- أن نسلم منذ البداية أن الإنسان يحتاج للغذاء والإنجاب والمأوى.
2- أن دوافع الإنسان تبدأ فسيولوجيا ثم يعاد بناؤها على أساس العادة المكتسبة.
3- أن تفهم الثقافة باعتبارها الجهاز الشرطي الذي يتم من خلال التمرين فيه على المهارات والمعايير إدماج الطبيعة والتربية.
4- أن يؤخذ في الاعتبار بصفة أساسية أن الإنسان لا يواجه مصاعبه منفردا ولكنه منظم في أسر ومجتمعات محلية وقبائل تخضع السلطة والزعامة فيها للتنظيم الثقافي أي أنها محددة ثقافيا.

5- أن رمزية الثقافة تعتبر عنصرا في كل التنظيمات الاجتماعية والتكنولوجية.

6- أن الإشباع والإرضاء الثقافي للحاجات البيولوجية الأولية تعرض على الإنسان متطلبات ثانوية. (بوجلال.م، 2015، ص 114)

سادسا: راد كليف براون:1881-1955: تأثرت آراؤه بكتابات أوجست كونت ودوركايم وهو ما جعله يبرز في حقل علم الاجتماع المقارن هذا الحقل الذي يستنتج المبادئ الأساسية التي تفسر العلاقات الاجتماعية ثم توظيفها في دراسته للأنظمة الاجتماعية المختلفة ودراساته المقارنة لأنظمة القرابة الوظيفة والتركيب الاجتماعي، لقد اشتهر بدراساته الأنثروبولوجية التي اعتبرت من الإنجازات المشهودة في تاريخ علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وأن التصور الوظيفي الذي قدمه عبر إنجازاته يعد علامة هامة في تاريخ الاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع، يرى أن الوظيفية تعني محاولة رؤية الحياة الاجتماعية باعتبارها كلا اجتماعيا أو اعتبارها وحدة وظيفية، والوظيفية المعاصرة ترى أن المجتمع نسق والنسق هو أداة تصورية يرى المجتمع على أنه يتألف من مجموعة من العناصر المترابطة مع بعضها البعض تلك تحدد علاقتها في إطار الكل بمجموعة من المبادئ التنظيمية التي تستند إلى التساند الوظيفي والتفاعل بين أجزاء النسق وبعضها البعض. (بوجلال.م، 2015، ص110-111)

السداسي الثاني

المحاضرة الأولى: الماركسية المحدثة:

أولا: التعريف بها: يطلق مصطلح الماركسية المحدثة على أولئك المفكرين المتمسكين بالماركسية التقليدية كإطار نظري ومنهجي، وهي تلك الآراء التي ظهرت بعد النظرية الماركسية الكلاسيكية لغرض الحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة سقوط المعسكر الشرقي وفقدانه العديد من الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي إضافة إلى عدم تحقق تنبؤ كارل ماركس بسقوط الرأسمالية التي ستحل محلها الاشتراكية ثم الشيوعية بل أعقب ذلك انتشار سريع للرأسمالية في شتى أصقاع المعمورة، وقد حافظت الماركسية المحدثة على مضمون الماركسية التقليدية مع تعديل طفيف في معنى الصراع الذي كان يقصد به ماركس انقلاب الطبقة الكادحة على أرباب العمل أو أصحاب السلطة الذين يمتلكون وسائل الإنتاج من أجل أن تصبح هذه الوسائل ملك الجميع الأفراد، أما الماركسيون المحدثون فيرون أن الصراع في طياته يحمل مضمون احترام للنظام والسلطة واعتبار الصراع أداة للتغير والتحديث، ينفي الماركسيون الجدد حدوث أي تغييرات كافية في العالم تقتضي إعادة النظر في أسس الماركسية غير أنه يمكن التمييز بين صفوف الماركسيين الجدد من رجال التنظير والفكر، ومن هنا يمكن القول أن الماركسية المحدثة هي أولئك المفكرون المتمسكون بالماركسية الكلاسيكية ولكنهم ينتقدونها في بعض الجوانب بدون أن تحيد عن الإطار العام للماركسية والاختلاف معها لا يعدو أن يكون مجرد تجديدات مفاهيمية وأمثلة تفصيلية لا تخرج عن جوهر النظرية الأساسية ولا تحيد عن إطارها الرئيسي ولكنها تحاول استيعاب مستجدات الواقع والتطرق إلى أهم الاختلافات القائمة بين الماركسيتين الكلاسيكية والمحدثة يبين أهم النقاط محل الاختلاف فيما يلي:

1. الرأسمالية والإمبريالية: اقترح لوسيان جولدمان استبدال مصطلح الرأسمالية عند ماركس بمصطلح الامبريالية كما يجب تعديله لكي يعكس الطبيعة المنتظمة للرأسمالية العالمية العصرية المتقدمة وامتدادا لهذا الطرح أوضحوا حقيقة الأساليب التي يتبعها الاستعمار الجديد في التعامل مع دول العالم الثالث وسعيه إلى الحفاظ على كبار الموظفين ورشوة البرجوازيات الوطنية والتأثير الإيديولوجي في المثقفين والتغلغل في المؤسسات العلمية والإعلامية والثقافية.

2. المسألة الطبقية والثورة البروليتارية: يجزم البعض بأن ماركس نفسه لم يضع تعريفا للطبقة فالتعريف الشائع هو ذلك الذي صاغه لينين والذي رأى فيه الطبقات: جماعات من الناس تحتل مواقع متماثلة نسبيا في نظام الإنتاج الاجتماعي، وذلكل أن ماركس في الجزء الثالث من رأس المال عني

بمحددات الطبقة فقط ويتم تحديد الطبقات من وجهة نظر ماركس من خلال موقعها من نظام الإنتاج والتنظيم الاجتماعي للعمل ولم يقع في منزلق تحديدها من خلال مؤشرات لاحقة لوجودها بذلك يعتقد الماركسيون الجدد أن ماركس لم يضع تعريفا للطبقة وإنما حصر الطبقات في اثنتين أساسيتين(المستغِلة والمستغَلة) دونما اهتمام بتفصيلات، أما مسألة الدور الثوري للبروليتارية فقد أصبحت من وجهة نظر الماركسيين الجدد بحاجة إلى إعادة النظر خاصة بعد التطورات التي طرأت على الطبقة العاملة في المجتمعات المعاصرة.

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
قسم علم الاجتماع
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

3. الخصوصيات القومية: كان اهتمام الماركسيون المحدثون منصبا حول دور الأمة والخصوصيات القومية للتحرر الشامل بوصفها تجسيد العمل القوانين النوعية للتطور الاجتماعي.

4. مسألة الاستغلال: أثار الماركسيون الجدد نقاط تفصيلية تتعلق بجدل الاستغلال الصاعد والنازل كاستغلال المدن للقرى في الدول النامية حيث تجذب رؤوس الأموال وفائض الإنتاج والقوى البشرية من خلال الهجرة وكذلك الحال بالنسبة لسيطرة العواصم على التوابع والأطراف سواء على مستوى المجتمع المتخلف الواحد أو على مستوى الدول المتقدمة والمتخلفة .(بوجلال.م، 2015، ص 90-93)

لقد تم تطوير النظرية الماركسية أو ما يعرف بنظرية الصراع نتيجة لأن مسلمات ومفاهيم هذه النظرية لم تعد قادرة على استيعاب وتفسير واقع المجتمعات الحديثة وذلك لاعتمادها الحتمية الاقتصادية واعتبارها أن الصراع الطبقي هو العامل الأساسي للتطور الاجتماعي والمحدد لطبيعة وبناء المجتمع أي أنها تجعل من ظاهرة الصراع محور العلاقات الإنسانية وتعتبره الآلية التي تخضع لها كافة الظواهر الاجتماعية لأنها تتحكم في عملية التطور الاجتماعي وبذلك وسعت هذه النظرية من مجال الصراع الاجتماعي إلى مجالات متعددة فقد يكون الصراع على المستوى الطبقي قائما أساسا على خلفية اقتصادية أو قد يكون لخلفيات طائفية أو دينية أو سياسية،(حامد.خ، 2015، ص 106)

تؤكد هذه النظرية على أهمية البنى في المجتمع ويبرزون أهمية الصراع والاختلاف داخل المجتمع، ويميل هؤلاء إلى أن المجتمع يتألف من فئات وجماعات متميزة تسعى إلى تحقيق أهدافها الخاصة أي أن اختلاف الجماعات يترتب عنه اختلاف وتعارض المصالح والأهداف مما يترتب عنه احتمال قيام الصراع بين هذه الفئات والصراع الاجتماعي هو الميكانيزم الأساسي في النسق الاجتماعي الصراع بين الجماعات والتنظيمات الاجتماعية المنظمة والمترابطة أما التغير الاجتماعي فإنه يحدث لأنه يستحيل أن تحتكر

مجموعة محدودة مراكز السلطة والثروة إلى الأبد وان تحرم منها الآخرين والصراع بهذا المعنى هو محرك السياق الاجتماعي.

إذا كانت الماركسية المحدثة هي امتداد للماركسية التقليدية، إلا أنها اختلفت عنها في بعض النقاط كاهتمامها بموضوع الصراع مع تعديل جزئي في مفهوم الصراع حسب الماركسية الكلاسيكية، فالماركسية المحدثة عموما تعتبر الصراع اداة للتغير والتحديث، ويحمل مضمون الاحترام للسلطة .

ثانيا: نشأتها: ترجع الجذور الفكرية للماركسية المحدثة إلى بعض العوامل يمكن إيجازها فيما يأتي:

– ظهور مجموعة من العلماء الشبان الغربيين، اهتموا بموضوع الصراع كموضوع أساسي عند الماركسيين التقليديين، لكن بنظرة مختلفة.

– ركز أنصار الماركسية المحدثة عن طريق تبنيهم لمدخل الصراع أن يجمعوا بين الماركسية التقليدية التي تهتم بالصراع، وبين البنائية الوظيفية التي اهتمت بالتوازن والنسق.

– جاءت الماركسية المحدثة كرد فعل عن إخفاق النظريات التقليدية الكبرى في تفسير الواقع الاجتماعي.

ثالثا: الانتقادات الموجهة للنظرية:

- لم تستطع الاستفادة من الإطار المرجعي(الماركسية/البنائية الوظيفية) وعدم فهمه بصورة واقعية وهذا ما جعلها تدور في فلك الوظيفية تارة والماركسية تارة أخرى وبذلك ينظر إليها على أنها فرع من البنائية الوظيفية.
- لم تفلح في أن تشكل بديلا نظريا أي أن نظرية الصراع قدمت رؤية جديدة لتفسير الواقع حسب وجهة نظر روادها.
- رغم اعتماد الكثير من روادها على الدراسات والبحوث التطبيقية الميدانية إلا أنها لم تخرج عن إطار الافتراضات الوظيفية الماركسية التقليدية عن النسق الاجتماعي والنظم الاقتصادية والسياسية.
- تبنت الصراع كمدخل تحليلي دراسة القضايا والمشكلات الواقعية ومحاولتها طرح عدد من البدائل النظرية من ناحية أخرى لكنها عزلت الصراع واعتبرته نتاجا للظروف الواقعية والمجتمعية دون وصف وتحليل هذه الظروف. (حامد.خ، 2015، ص 112)

المحاضرة الثانية: رواد الماركسية المحدثة:

أولا: رالف دارندوف: 1929-2009 كان من أبرز ممثلي اتجاه الصراع الجدلي وكان اتجاهه يقوم على مراجعة ونقد التوجه الماركسي في تفسير الصراع الاجتماعي، حيث يرى أن المفكرين الوظيفيين يقتصرون في دراستهم على جانب واحد من المجتمع أي نواحي الحياة الاجتماعية التي يتجلى فيها الانسجام والتوافق، وما يعاد لأهمية تلك الجوانب أو بعضها أهمية، وينتج الصراع بشكل أساسي على الاختلاف والتعارض بين مصالح الأفراد والجماعات على السواء، ظهرت فكرة الصراع عند دارندوف من خلال دراسته للمؤسسات الصناعية الكبيرة ذات البناء المركب والعلاقات الرسمية وليس من خلال دراسة الصراع الطبقي كما فعل ماركس، وفي إطار نظريات الصراع الجدلية نجد دارندوف يجادل بإصرار على المخطط البارسونزي بصفة خاصة والوظيفية بصفة عامة من حيث رؤيتها للمجتمع على صورته الكلية المتكاملة والثابتة، في حين ينظر هو إلى المجتمع باعتباره ذو وجهين أحدهما للاجتماع والآخر للصراع، يقر دارندوف بوجود الصراع وبحدوثه ولكنه يقع في المحيط السياسي وليس في الميدان الاقتصادي وذلك من خلال تصارع وتنافس الجماعات والأفراد داخل الهيئات والمؤسسات من أجل مراكز السلطة والنفوذ وانطلاقا من مصالحها وليس من أجل الثروة الاقتصادية، فالصراع ليس مجرد منظور تاريخي بل عملية يتمكن المجتمع بواسطتها من صنع التكيف والتوازن والاندماج من أجل أن يستمر ويبقى.(بوجلال.م، 2015، ص 198-200)

ثانيا: لويس كوزر: 1913-2003 يعرف الصراع عند كوزر على أنه الكفاح حول القيم والمطالبة بالمكانة النادرة وأحقية المصادر أو الموارد والقوة، كما أنه يتمثل في الحالة التي يكون فيها هدف الجماعات المتصارعة التخفيف من حدة الضرر أو الإصابة أو التخلص من منافسيهم، أما مفهومه للمجتمع الإنساني هو مجموعة أنظمة مترابطة مع بعضها البعض وترابط هذه الأنظمة لا يكون متوازنا ولا متكافئا في قوته وديناميكيته وتكون التصادمات والنزاعات مستمرة من أجل تطمين وإشباع حاجات المجتمع الخاصة لكي تساعدهم على إثبات وجودهم، لقد درس كوزر الصراع الذي يحدث داخل الجماعات الصغيرة ووجد فيه فوائد تعود على أعضاء الجماعة نفسها فيؤدي إلى الوحدة الداخلية للجماعة أو يعيد تركيبها من جديد أو يزيد من تماسكها أكثر مما كانت عليه ولكن لا يحدث هذا الأمر دائما بل يعتمد على نوع وطبيعة البناء الاجتماعي، قدم كوزر وجهة نظره في هذا الإطار باعتبارها محدثة في تصنيفه لأنواع الصراعات التي تحدث بين الأنظمة الاجتماعية إلى صنفين هما: صراع ضمني في النظام

الواحد بين الأنساق الاجتماعية والصراع البيني بين الأنظمة الاجتماعية نفسها.(بوجلال.م، 2015، ص 195-196)

وصف كوزر بعض نتائج الصراع الإجتماعي في شكل افتراضات مجردة على النحو التالي:

- كلما كانت أهداف الأطراف المتنازعة غير محدودة طالت عملية الصراع الاجتماعي.

- إذا اعتقد الناس أن إنجازهم الكلي لأهدافهم سوف يكلفهم ما يفوق الانتصار الذي يتطلعون إليه فإن الصراع لن يستمر طويلا.

- كلما كان الصراع حادا وعنيفا ومكثفا كانت الجماعات المتصارعة بالغة التحديد والوضوح وزادت الحاجة إلى التمييز الدقيق بين معسكر كل جماعة أو كل طرف ومعسكر أعدائه.

- كلما تزايدت حدة الصراع تزايد تضامن كل طرف اجتماعي من الأطراف المتصارعة حيث يشعر كل طرف أن أعضائه في سفينة واحدة وأن من ليس معهم هو ضدهم وأن مصيرهم واحد مشترك .(حامد.خ، 2015، ص 109-110)

ثالثا: جورج زيمل: 1858-1918 سلم زيمل باكتشاف مجموعة من القضايا النظرية التي تأخذ شكل العمليات الاجتماعية الأساسية، حاول زيمل صياغة تجريدات للخصائص الشكلية لعمليات وأحداث تقع في بيئات اجتماعية متباينة تباينا كبيرا وعندما قام بهذه المهمة تطلع إلى اكتشاف أحكام مجردة تصف العمليات الاجتماعية الأساسية التي تقوم عليها أنماط التنظيم الاجتماعي، وزيمل يشبه ماركس في رؤية الصراع باعتباره ظاهرة لا مفر منها وحتمية في أي مجتمع ولكنه على خلاف ماركس رأى أن البناء الاجتماعي لا يتكون من طبقة مهيمنة وطبقة خاضعة مسيطر عليها، ولكن زيمل يرى أن المجتمع يتكون من عمليات شتى متداعية مترابطة وغير مترابطة ولا يمكن الفصل بينها في عالم الواقع وإنما يمكن الفصل بينها أثناء التحليل، نظر زيمل إلى الصراع باعتباره صادرا عن الغرائز العدوانية وليس محصلة تعارض المصالح وقد يؤدي تضارب المصالح إلى إثارة هذه الغرائز العدوانية.

القضايا الأساسية للصراع عند زيمل:

- كلما ازداد تورط أطراف الصراع عاطفيا ازدادت حدة الصراع.

- كلما ازدادت درجة الألفة بين كل طرف من أطراف الصراع لمواجهة الصراع ازداد التورط العاطفي.

– كلما ازدادت درجة الحقد والعداء بين الأطراف لمواجهة الصراع قوي التورط العاطفي.

– كلما ازدادت درجة الحقد القديمة بين الأطراف لمواجهة الصراع ازداد التورط العاطفي.

– كلما ازدادت الوحدة الجمعية الداخلية بين الأطراف المتورطة في الصراع ازدادت حدة الصراع.

– كلما ازدادت درجة التماسك بين أعضاء كل طرف من أطراف الصراع ازدادت شدة الصراع.

– كلما ازدادت درجة الانسجام في الهدف بين أعضاء كل طرف من أطراف الصراع ازدادت حدة الصراع.

– كلما قل السماح وقبول البناء الاجتماعي الأكبر بانعزال أو انقسام الأطراف المتصارعة ازدادت شدة الصراع.

– كلما قل قبول الصراع كوسيلة نحو غاية وأصبح غاية في حد ذاته ازدادت شدة الصراع.

– كلما قويت رؤية المشاركين في الصراع على أنه صراع يسمو فوق الأغراض والمصالح الفردية ازدادت حدة الصراع .(تيرنر.ج، 2000، ص 110–115)

رابعا: جورج لوكاش: 1885–1971 فيلسوف وعالم اجتماع ماركسي مجري، زاول دراسته في جامعة بودابيست ثم في ألمانيا على يد ماكس فيبر وجورج زيمل، في نهاية الحرب العالمية الأولى أنتسب إلى الحزب الشيوعي منصبا في الحكومة لمدة قصيرة، حاول وضع نظرية ماركسية في علم الجمال اشتهر بكتابه الموسوم التاريخ والوعي الطبقي 1923 عالج فيه عدة قضايا، وشكك في صحة المادية التاريخية كما صاغها ماركس وفي الوعي المرتبط بالطبقات ورفض التفسير العلمي الماركسي وقدم آراءه في رواد مدرسة فرانكفورت، يشترك لوكاش مع ماركس في تبنيهما للمنطق الجدلي لهيجل وللوكاش، رأى في أن التناقض ونتائجه تكمن أساسا كما هي في الاقتصاد وفي الثقافة الحديثة ومن المفاهيم الأساسية التي تناولها في تحليله للمجتمع الرأسمالي مفهوم الوعي والتشيؤ وعلاقة كل منهما بالتغير والثروة والعقلانية، يوازي مفهوم التشيؤ لدى لوكاش مفهوم الاغتراب أو الاستلاب عند ماركس حيث تم استخدام المفهومين في بحث وتحليل التناقضات في المجتمع وما يمكن أن يترتب على هذا من بناءات نظرية اعتمدها في تناوله لمفهوم التشيؤ كمفهوم في تحليل المجتمع الرأسمالي على مصادر ثلاثة هي: مفهوم صنمية(تعني

الصنمية استبدال القيمة التبادلية للسلعة بقيمة الاستعمال) السلعة لماركس ومفهوم العقلانية لماكس فيبر ثم الجانب العقلي الفكري الذي ركز عليه هيجل.(بوجلال.م، 2015، ص 94-95)

خامسا: أنطونيو غرامشي: 1891-1937 مفكر اجتماعي إيطالي ينحدر من أسرة فقيرة درس بجامعة تورين بإيطاليا كانت له موهبة في اللغة وفصاحة اللسان، أمتهن حرفة الصحافة وصار صحفيا شهيرا نشطا في ميدان السياسة في التيار الماركسي ترعم الحزب الشيوعي الإيطالي وانتخب عضوا في البرلمان الايطالي ثم صار سجينا سياسيا(1926-1937) إلى أن توفي في 1937/4/27 بعد أن اشتد عليه المرض وأطلق سراحه من السجن، كان لغرامشي فهم مغاير للماركسيين الكلاسيكيين حول البناء التحتي والبناء الفوقي حيث يرى بأن هذه التفرقة عرضية فليس افتراض البناء الفوقي بمثابة صورة ناتجة عن البناء التحتي أو افتراض البناء التحتي أساسا يفرز فوقياته إلا تبسيطا للفهم الحقيقي للتاريخ، لذا يجب فهم مثل هذه المقولات بمعنى علاقاتها وفعاليتها التاريخية لا بمعنى وجودها في الواقع، المسألة الهامة لديه هي قضية الهيمنة والسيطرة من خلال تملك القوة للإبقاء على هيمنتها، تعمل الجماعات البرجوازية المسيطرة اقتصاديا وسياسيا على إبقاء المواقع وإعادة إنتاجه بطرق مختلفة كالقهر وأجهزته وخلق إيديولوجية لتزييف حقيقة الواقع من هذا السماح بمظاهر المجتمع المدني دون سيطرتها تبنى رؤاها وأيديولوجيا، ثم تبدأ هذه الهيمنة بالانهيار مع تطور وعي الطبقات المحرومة والمستقلة بمصالحها وتشكيل تنظيماتها المستقلة وتعمل بقيادة مثقفيها العضويين على بلورة ثقافة ثورية مضادة تترجم في النهاية إلى فعل ثوري لا تقتصر نتائجه على الهيمنة على أجهزة الدولة وإنما تمتد السيطرة على قوى الإنتاج وعلاقاته .(بوجلال.م، 2015، ص 95-96)

سادسا: آلان تورين:1925-2023 جعل من التباين اللامساواة في ملكية القوة أساس عملية الصراع حيث ينقسم المجتمع على هذا الأساس إلى مسيطرين وخاضعين إلى مالكي القوة ومن لا يملكون، ولم ينكر أهمية اللامساواة في الملكية كأساس ثان للصراع تعتمد في نظره ملكية القوة واستمرارية الوضع على القدرة في:

1- **السيطرة على إدارة التراكم:** حيث تبرز طبقة تتحكم في عمليات الإنتاج ونتائجها مما يمنحها قوة تتحكم من خلالها في من لا يملكون.

2- **ملك صيغة المعرفة:** حيث توظف الطبقة المهيمنة هذه المعارف في وضع البرامج والإشراف على إنتاج المعرفة، وبذلك تزداد أهمية هذا الجانب في المجتمعات المعاصرة التي أصبحت فيها المعلومات التكنولوجية من أهم أوجه التنافس والقاعدة لتطوير أوجه الحياة بما في هذا الجانب الاقتصادي، ينطبق هذا على علاقات الطبقات داخل المجتمع وبين المجتمعات المختلفة.

3- **فرض النموذج الثقافي:** يساند سيطرة المتحكمين ويساعد في استمرار الحال بإعادة إنتاج الواقع ويرى أن احتكار ملكية الثروة لا يحتل مكانة الصدارة في عملية الصراع، فالثقافة أساس بناء النمط الشخصي الذي يشكل ويصاغ في هذا الحال بما يضمن تقبل الوضع كأمر طبيعي، ويمكن سحب هذا على النظام العالمي الجديد أو ما يسمى بالعولمة حيث تعمل القوة المتحكمة عالميا وبكل الطرق فرض نموذجها الثقافي الذي يعزز سيطرتها وضمان مكاسبها وأهدافها الاقتصادية والسياسية.(بوجلال.م، 2015، ص 96-97)

سابعا: بيار بورديو: 1930-2002 يعتبر من الماركسيين الجدد وتتلخص أفكاره في محاولته حول إشكالية الثنائيات وخاصة بين الذاتي والموضوعي والوضعية والمثالية والفرد والجماعة، قد طرح مفاهيم تربط بين هذه الجوانب معتمدا على دراسات إمبريقية ودون ادعاء تكوين نسق نظري جامد كامل، وقد أكد صفة النسبية والتغير في القوانين فكل قانون مرتبط بوعي محدد تتبدل حقيقته بتغير الوعي دورا هاما، وينتهي إلى القول بأن أزمة علم الاجتماع ناتجة عن نظريات دون ركيزة إمبريقية أو أعمال إمبريقية دون توجيهات نظرية.(bourdieu.p، 1964، ص 183)

وعليه يمكن إيجاز محاولات التجديد لأفكار الماركسية هذه أنها ارتكزت على:

- نقد الحتمية الاقتصادية التي ظهرت في كتابات بعض الماركسيين بعد وفاة ماركس فالماركسية في أساسها لا تأخذ بمفهوم هذه الحتمية لافتراضها علاقات مستمرة بين مكونات المجتمع.

- محاولة إعادة العلاقة بين أوجه المستوى التحتي والفوقي وذلك بتحرير دور عناصر الأخير من التبعية للمستوى التحتي، وقد جاء معظم القول في هذا في الدور المستقل ولو نسبيا للثقافة والوعي في تشكيل المجتمع وتبدله وتطوره.

– محاولة الخروج من افتراض الحقيقة الموضوعية لما هو اجتماعي وإدخال البعد الذاتي ومحاولة التوفيق بين الجانبين كما ظهر هذا بشكل خاص في أطروحات كل من لوكاش وبورديو.(بوجلال.م، 2015، ص 97-98)

ثامنا: فرانك باركن: 1864-1925 يرى باركن أن الجماعات المحرومة لا يتم السيطرة عليها بواسطة القوى المادية ولكن بواسطة مجموعة من الميكانيزمات التي تشمل الحراك الاجتماعي والتوقعات والاستسلام وغيرها من الآليات التي يتم تلقينها عن طريق النسق التعليمي، كما أن النظام المعياري من آليات السيطرة في المجتمعات الحديثة فالجماعات المسيطرة لديها قيم السيطرة والتي عن طريقها يتم تأسيس الإطار الأخلاقي والأفكار أو المسلمات العامة، وفي ضوء ذلك حلل طبيعة المشاركة العمالية في الاتحادات المهنية ورغبتهم في الاستفادة مما أسماه دارندوف بقواعد اللعبة أو المباراة، وقد خلص بعد دراسات ميدانية في العديد من المجتمعات الغربية حيث قام بدراسة وتحليل اللامساواة والأيديولوجيا السياسية عن طريق دراسة الأحزاب السياسية، وفي المجتمعات الشيوعية فإنه يتم توزيع المكاسب الاجتماعية والاقتصادية حسب أنساق السيطرة السياسية بينما يتم توزيعها في المجتمعات الغربية حسب أنساق السوق.(حامد.خ، 2015، ص 110-111)

المحاضرة الثالثة: النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت):

أولا: تعريفها: إن الشيء البارز والمتفق عليه في هذه النظرية هو بروز عنصر النقد كعنصر أساسي في محاولة تجديد علم الاجتماع وتحريره ويتراوح هذا النقد ما بين نقد فكرة أو مفهوم أو قضية نظرية وبين رفض كل التنظير القائم والبحث عن آخر جديد، فهي إذن مجموعة القضايا التي تشكل إطارا نظريا لنقد النظام الاجتماعي القائم أو الكشف عن تناقضاته بحثا عن نظام اجتماعي تختفي فيه التناقضات، ومنه فإنها تسعى دائما لاكتشاف مواطن الضعف والتناقض وعدم الاستقرار وذلك من أجل تطويرها وتحديثها بصورة تسمح لها بتأدية تغيير النسق الذي يعاني من التناقضات المتعددة ولبناء نسق اجتماعي جديد، وبالتالي فإنها لا تقتصر على مجرد وصف الوضع الراهن بل تتعدى ذلك إلى المساعدة على تجاوزه وتخطيه وعلى ضوء هذا الطرح يرى "هابرماس" حين ذهب إلى أن علم الاجتماع يجب أن يؤدي وظيفة تحريرية أي يسهم في تحرير الإنسان من حالة الاغتراب وأساليب السيطرة التكنولوجية.(حامد.خ، 2015، ص 114)

ثانيا: نشأتها: ترتبط هذه النظرية بمعهد البحوث الاجتماعية الذي تأسس في ألمانيا عام 1923، والذي يعد حركة فكرية واسعة أخذت تعرف بوصفها الماركسية الغربية التي تتميز بنظرة نقدية لتطور المجتمع والدولة والاتحاد السوفييتي، يعد يورجين هارماس أهم ممثلي النظرية النقدية المعاصرين، حاولت هذه النظرية تفسير سبب عدم حدوث الثورة الاشتراكية التي تنبأ بها ماركس ويرى أصحاب هذه النظرية أنه كان يتعين عليهم إعادة بناء منطق الماركسية ومنهجها من أجل تطوير ماركسية ذات صلة بالرأسمالية الناشئة في القرن العشرين، حاول أصحاب هذه النظرية ربط التحليل الاقتصادي بالتحليل الثقافي والإيديولوجي لتفسير سبب عدم حدوث الثورة التي توقعها ماركس، أصبحت هذه المدرسة أساسا لأغلب النظريات والاتجاهات النقدية لما بعد الحداثة خاصة في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا.(الحسيني.س، 1985، ص 141)

ثالثا: المنطلقات الأساسية لهذه المدرسة:

1- المحاولة الجادة التي قام بها أعضاء المدرسة من أجل أن يقدموا فكرا ماركسيا يتميز عن الحتمية الاقتصادية الميكانيكية من جانب وعن النزعة التطورية من جانب آخر.

2- تأكيد أعضاء المدرسة على أهمية النقد ذاته في تطور المجتمع.

3- اهتمام مفكري هذه المدرسة بالشكل الفلسفي لا بالشكل العلمي والموضوعي.

رابعا: تقييم أفكارها ونقد أعمالها:

1- **تقييمها:** اشتهرت بنقد الاتجاه الوضعي حيث كان نقدها من منطلق استيعاب أسسها النظرية ومحللا دعائمها المنهجية، فرؤية هذه النظرية في نقدها للوضعية ترتبط بهدف مركزي هو أنها تسعى إلى تحرير المعرفة والإنسان من أسر القوالب النظرية الجامدة التي فرضت الجمود على الطبيعة الإنسانية، يهدف علم الاجتماع النقدي حسب رأي رواد هذه النظرية إلى إمكانية التأمل وإعادة البناء على نحو يمكن الأفراد من معرفة أنفسهم والإلمام بالمواقف والظروف المحيطة بهم والتخلي عن النظر إلى المجتمع والبناء الاجتماعي ككائنين خارجيين.

2- **نقدها:** تعرضت إلى النقد من اتجاهين رئيسيين من أولئك الذين يدعونهم علماء الاجتماع الوضعيين ومن الماركسيين، إن النظرية النقدية تأمل فارغ وليس لها من وجهة نظر علماء الاجتماع التقليديين أساس صلب في الواقع إذ لا يمكن اختبارها ومن ثم إثباتها أو دحضها، كما أن الماركسيين يرون أنها لا تقدم معرفة عن الواقع أو تحليلا للبنى الاجتماعية الفعلية.(حمداوي.ج، 2015، ص 122-126)

ومن بين الانتقادات الأخرى الموجهة لهذه النظرية نجد:

- انصب نقد رواد النظرية النقدية على المجتمع الرأسمالي وكشفوا عيوبه وأقاموا الأدلة على عدم صلاحيته لكن الواقع أثبت عكس ما يقولون وذلك بأن استمر المجتمع الرأسمالي أكثر من المجتمع الاشتراكي وتحولت المجتمعات الاشتراكية إلى المجتمع الرأسمالي.
- كما أنهم انتقدوا المجتمع الرأسمالي من خلال سيطرة الدولة ومؤسساتها على جميع مناحي الحياة الاجتماعية وهذا غير صحيح إذ أننا نجد سيطرة الأفراد هي الأكثر هيمنة على المجتمع بسبب وجود هامش كبير من الحريات العامة في المجتمع.
- تصف النظرية النقدية الفلسفة بأنها فكر فوقي لا تعالج الواقع المعيش وأن طروحاتها مثالية لا علاقة لها بالواقع في حين نجد الفكر النقدي يقع في نفس الخطأ بأن طروحاته فوقية لا تتجاوز حدود المنطق العقلي ولا يمت للواقع بصلة وهذا ما جعله فكرا غير قابل للتطبيق.
- ركزت النظرية النقدية على النقد كمنهج تحليل الظواهر الاجتماعية أكثر من تركيزها على نتائج النقد أي أنها تنتقد المجتمع الرأسمالي لكنها لا تقدم بديلا لهذه النقائص. (بوجلال.م، 2015، ص 192-193)

المحاضرة الرابعة: رواد النظرية النقدية:

أولا: غرونبرج كارل: 1891-1972: كان أول مدير لمعهد البحوث الاجتماعية بجامعة فرانكفورت تميزت إدارته للمعهد بكونها إدارة ذات طبيعة دكتاتورية أكد أنه لا يمكن الاقتناع بإمكانية مشاركته في إدارة المعهد أشخاص ذوي مداخل منهجية متباينة إلى جانب أنه لم يكن مقتنعا بأهمية البعد السيكولوجي في التفسير وإنما يؤكد على التفسير المادي للتاريخ فالظواهر الاجتماعية ليست لديه إلا انعكاسا للحياة الاقتصادية وأن عمليات إنتاج الحياة المادية هي التي تحدد عمليات الحياة العقلية والسياسية والاجتماعية.(بوجلال.م، 2015، ص 167-168)

ثانيا: ماكس هوركايمر: 1895-1973: ترأس معهد البحوث الاجتماعية خلفا لجرونبرج تقلده لرئاسة المعهد يعتبر بداية مرحلة جديدة في حياة هذه المؤسسة العلمية امتازت بإنتاجها الفكري الضخم والأصيل وباستمرار نشاط عمليات البحث العلمي واتساع صلاته الداخلية والخارجية تم غلق هذا المعهد بعد وصول هتلر إلى الحكم وعزل هوركايمر رسميا من منصبه لميوله المعادية للدولة.(بوجلال.م، 2015، ص 168)

ثالثا: ثيودور ادورنو: 1903-1969: أصبح مديرا مساعدا لمعهد البحوث الاجتماعية بعد هوركايمر ويعد المجلد الأول من مجلة البحث الاجتماعي مرحلة جديدة في علم الاجتماع الألماني واتجاها مفارقا ينحوا إلى الاهتمام بالنقد والتحليل السوسيولوجي والنفسي والفلسفي الجاد، وفي الأعداد الأخرى عالجت المجلة أوضاع الطبقة العاملة في ألمانيا والدول الأوروبية الأخرى وفي هذا الوقت أيضا تأسس للمعهد فرع في جنيف كانت مهمته جمع المعلومات والإحصائيات اللازمة لإعداد دراسات نظرية وميدانية حول الطبقة العاملة وكذلك إقامة علاقات وثيقة مع منظمة العمل الدولية والتوجه نحو البحوث والدراسات الاجتماعية الإمبريقية.(بوجلال.م، 2015، ص 168-169)

رابعا: هربرت ماركوز: 1898-1979: معروف بتنظيره لليسار الراديكالي وحركات اليسار الجديد ونقده الحاد للأنظمة القائمة رغم أنه غادر ألمانيا إلا انه بقي عضوا في جماعة فرانكفورت الثقافية مع ماكس هوركايمر وثيودور ادورنو، ركز في كتاباته على نقد الرأسمالية وتجديد الأطروحات الماركسية واشتهر في كتاباته عن الاشتراكية ومعالجة هموم الإنسان ونقد ديمقراطية النظام الرأسمالي .(بوجلال.م، 2015، ص 170)

المحاضرة الخامسة: رايت ميلز والخيال السوسيولوجي:

تمهيد: لقد ارتبطت الاتجاهات النقدية الحديثة بما يعرف باليسار الجديد الذي ارتبط تاريخه بالحركات الاجتماعية كالارتباط بحركة المجتمع الواسع النطاق والموجهة للنظام الرأسمالي وباعتبار أن علم الاجتماع يدرس الإنسان في المجتمع قد عرف مبادرات نقدية منها المبادرة المبكرة "لرايت ميلز" التي رفعت من مستوى النقد الاجتماعي إلى مستوى النقد السوسيولوجي.

أولا: الخيال السوسيولوجي عند رايت ميلز: (1916-1962) ينسب الخيال السوسيولوجي إلى ميلز ارتبطت جهوده بدراسة الماركسية والفيبرية وبمختلف القضايا ذات الصلة بالطبقة المثقفة وقضايا المثقفين وواجبات القيام بدورهم تجاه الحياة الثقافية الجديدة، كان الدافع الأساسي لتناوله في نظريته الاجتماعية لعديد المجالات والظواهر الاجتماعية هو تحليل مشاكل المجتمع الغربي في ظل النظام القديم وتناقضاته وتأثيره على الأفراد من الناحية الاجتماعية والسلوكية والاقتصادية والبحث عن النظرية الاجتماعية الجديدة القادرة على استيعاب حركة المجتمع وتطوره وإنهاء الاستغلال والقهر والاغتراب داخل المجتمعات.

تتبلور أفكاره في نقده النظريات الماركسية الكلاسيكية أولا ودراسته حول علاقة الفرد بالبناء الاجتماعي ثانيا والفرد في المجتمع الرأسمالي ثالثا والخيال السوسيولوجي رابعا، مع التركيز على هذا الأخير، يكمن دور الخيال السوسيولوجي كأداة تمكن دارس علم الاجتماع إدراك أبعاد المشكلة الاجتماعية التي تجتاح المجتمع الصناعي متمثلة في اغتراب الفرد عن ذاته وعمله ومحيطه الاجتماعي وشعوره بالضياع وسط قوى اجتماعية تضيق عليه الخناق وتحاول توجيهه وفقا لإرادتها ومصلحتها وليس لإرادته ومصلحته الخاصة، وللخيال السوسيولوجي في نظر رايت ميلز دورا مهما في إدراك الباحث للفرد كجزء من المجتمع والمجتمع كجزء من التاريخ أو إدراك الفرد من خلال دوره في البناء الاجتماعي وإدراك البناء الاجتماعي من خلال موقفه من التاريخ، كما أن الخيال السوسيولوجي يحول دون تقوقع الفرد داخل نفسه أو انغلاقه في إطار تجربته الخاصة بل يتيح له فرصة أوسع ليمارس دوره في توجيه مجريات الأمور فهو يصل بين الفرد والمجتمع ولا يعزل أحدهما عن الآخر.

وهو أيضا أداة تعين الباحث على دراسة المشكلات الاجتماعية في المجتمع الحديث على أنها مشكلات بنائية وليست مشكلات فردية أي يتناولها على مستوى النظم الاجتماعية وعلى المستوى السيكولوجي، كما تقوم فكرة الخيال السوسيولوجي من وجهة نظر ميلز على الربط بين مستويين من مستويات التحليل مستوى المجتمع أو البناء الاجتماعي ومستوى الفرد لأن حياة الفرد أو تاريخ المجتمع لا يمكن فهم أي

منهما دون فهم الآخر، فالهدف الأساسي من الخيال السوسيولوجي هو إكساب الفرد وعيا حقيقيا بمشكلات المجتمع عامة وذلك من خلال مستويين من التحليل على مستوى الفرد بكل ما يعانيه من اضطرابات تفرضها عليه حياته في مجتمع مستغل وعلى مستوى البناء الاجتماعي بكل ما يزخر به من مشاكل عامة. (بوجلال.م، 2015، ص 187-189)

ثانيا: ألفن جولدنر والتأمل السوسيولوجي: (1920-1980) يمكن تلخيص نظريته التأمل السوسيولوجي في النقاط التالية:

- الخيال السوسيولوجي يمكن الإنسان من استعادة مكانته داخل المجتمع والثقافة ومن اكتشاف جوهره بعد أن يكون قد تعرف على حاجاته.
- التأمل السوسيولوجي يؤكد على أهمية الذات كمصدر ملهم للمعرفة الصادقة ضرورة التخلي عن الثنائية المنهجية التي تفصل بين الباحث والمبحوث واستبدالها بضرب من التفاعل الواعي بينهما.
- اهتمام نظريته بأهمية الافتراضات الأساسية وتعميق وعيهم الذاتي من أجل اتخاذ موقف أكثر إنسانية من المعرفة والمجتمع.
- ضرورة قيام علماء الاجتماع المعاصرون بنقد افتراضاتهم الأساسية وتعميق وعيهم الذاتي من أجل اتخاذ موقف أكثر إنسانية من المعرفة والمجتمع.
- ينطلق من تصوره للتأمل السوسيولوجي على فكرة الوعي الذاتي لأنه يؤمن بفكرة الذات وإمكانية الاستفادة من الخبرات الشخصية لاكتشاف الحقيقة.(بوجلال.م، 2015، ص 190)

المحاضرة السادسة: التفاعلية الرمزية :

أولا: تعريف النظرية: يعرف غيدنز التفاعلية الرمزية بأنها تعنى بالقضايا المتصلة باللغة والمعنى لأنها كما يرى ميد تنتج لنا الفرصة لنصل مرحلة الوعي الذاتي وندرك ذاتنا ونحس بفرديتنا، كما أنها تمكننا من أن نرى أنفسنا من الخارج مثلما يرانا الآخرون، وقد استخدم هذا المفهوم لتمييز نمط من العلاقات الاجتماعية ولتفسير بعض الملاحظات الخاصة بالإنسان وسلوكه وتفاعله ذلك التفاعل الذي يقوم على استخدام الرموز التي تتخذ صورا وأشكالا متعددة.(حامد.خ، 2015، ص 122)

تعتقد التفاعلية الرمزية بأن الحياة الاجتماعية وما يكتنفها من عمليات وظواهر وحوادث ماهي إلا شبكة معقدة من نسيج التفاعلات والعلاقات بين الأفراد والجماعات التي يتكون منها المجتمع، فالحياة الاجتماعية يمكن فهمها واستيعاب مظاهرها الحقيقية عن طريق النظر إلى التفاعلات التي تقع بين الأفراد.(محمد الحسن.إ، 2005، ص 65)

ويشير مفهوم التفاعلية الرمزية إلى التفاعل الذي ينشأ بين مختلف العقول والمعاني والذي يعد سمة مميزة للمجتمع الإنساني ويستند هذا التفاعل الاجتماعي إلى أدوار الآخرين والرمز يشير إلى الشيء الذي يشير إلى شيء آخر ويعبر عنه بالمعنى كالعلاقات والإشارات والقوانين واللغة المكتوبة، والرمز عبارة عن إشارة مميزة للدلالة على موضع معين مادي أو معنوي، والرموز هي مجموعة من الإشارات المصطنعة يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل وهي سمة خاصة في الإنسان، والرمز يتطلب أربعة عناصر :

- **الدال:** أي شي يحل محل الدال عليه.

- **المدلول:** هو المعنى الذي يضمن الدال عليه.

- **الدلالة:** وهي العلاقة بين الدال والمدلول ويدركها الأشخاص الذين يتوجه إليهما لأمر.

- **الاصطلاح:** هو الذي يحدد العلاقة بين الدال والدلالة ويكون معروفا ومكتسبا من جهة الأفراد الذين يشتركون في التفاعل.(بوجلال.م، 2015، ص 130-131)

يحدث التفاعل من خلال عمليات التواصل بين الأفراد، والتفاعلية الرمزية تتخذ من المشكلات الاجتماعية والنفسية منفذ التوصيف جديد لعلم الاجتماع يؤمن بالعمل لا بالتنظير، كما ولد هذا المنظور اهتماما

بمفاهيم لها دور في فهم الاتصال والتفاعل، أي أن التفاعلية الرمزية اتجهت نحو فهم الذات الفاعلة والنفس البشرية من خلال فهم العمليات التفاعلية.

ثانيا: الجذور التاريخية للنظرية: تعود جذور هذه النظرية في الدراسات الكلاسيكية لعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة البرجماتية الأمريكية وعلم النفس الاجتماعي، وكانت لأفكار "ماكس فيبر" دور كبير في فهم العالم الاجتماعي من خلال فهم اتجاهات الأفراد الذين نتفاعل معهم، وأن فهم الظواهر الاجتماعية يكون من خلال تحليل الفعل الاجتماعي في المجتمع وكذا تحليله الوحدات والأبنية الاجتماعية الكبرى،(بوجلال.م، 2015، ص 129) اهتم "فيبر" بدراسة الوحدات الاجتماعية الصغرى وذلك من خلال فحص المعاني الفردية وفهم معنى السلوك للأفراد المتفاعلين مع بعضهم، وذهب "فيبر" إلى أن الناس يتصرفون وفقا لتفسيراتهم لمعاني الواقع والوجود الاجتماعي، وقد ظهرت في بداية القرن العشرين على يد "جورج هربرت ميد" خاصة في كتابه العقل والذات والمجتمع فالفرد في تفاعله مع الآخرين يكوّن صورة ذهنية أو رمز عن كل فرد تفاعل معه، وطبيعة الرمز الذي أعطاه الفرد للآخرين هو الذي يحدد علاقته معهم.

ثالثا: التصور السوسيولوجي للتفاعلية الرمزية: توجد نقاط عدة أسهمت في بلورة الإطار العام للتصور السوسيولوجي من حيث تناول ظواهر الواقع ومعالجتها وتقديم التفسيرات السوسيولوجية لها، وتتمثل هذه النقاط في:

– التركيز على تبادل المعلومات كأساس للتفاعل الاجتماعي في التنظيم الاجتماعي.

– اتخاذها للمداخل الميكروسوسيولوجية الاستقرائية أساس لتحليل الوقائع الاجتماعية وتفسيرها واستخدامها للملاحظة كإجراء منهجي في جمع البيانات حول الظاهرة الاجتماعية.

– توضح نموذج متوسط المدى للحقيقة الاجتماعية وهذا لأن هذه النظرية ترى أن الأفراد يخلقون المجتمع كل يقدم بواسطة أفعالهم الاجتماعية، ولهذا تنظر للنظام الاجتماعي باعتباره نتاجا فعالا بواسطة أعضاء المجتمع وأن المعنى يعتبر موضوعا للتفاوض والتداول بين الفاعلين أكثر من كونه مفروضا عليهم.

رابعا: منهج التفاعلية الرمزية: من الناحية المنهجية يقترح رواد هذه النظرية تحديث مناهج البحث السوسيولوجي وذلك باستخدام المناهج الكيفية التي يعتمد عليها علماء النفس، وأن تحليل الظواهر الاجتماعية يتم عبر استخدام المناهج كالاستنباطي والاستقرائي والأدوات المنهجية كالملاحظة بالمشاركة

والتجربة واستمارة البحث والطرق السوسيومترية (القياس)، وتقمص أدوار الفاعلين لفهم الظاهرة على حقيقتها.(بوجلال.م، 2015، ص 132-133)

خامسا: المقولات الأساسية للتفاعلية الرمزية:

1- **الرموز والمعاني:** ينطلق "جورج ميد" من مسلمة أساسية مؤداها أن الإنسان هو كائن نشط وفعال يتواصل مع غيره من خلال الرموز التي لها دلالتها ومعناها لدى مستقبلها، وفي هذه الحالة عندما يصبح الرمز معنى مشتركا يصبح رمزا اجتماعيا يكتسب من خلال التفاعل مع الآخرين.

2- **التوقعات والسلوك:** إن المجتمع في نهاية الأمر هو عبارة عن حجم معين من التفاعلات التي تجري بين أعضائه، وهو يتكون من جماعات يرتبط الأفراد من خلالها ببعضهم البعض بالإضافة إلى العلاقات التي تربط الجماعات ذاتها، ويتم تنظيم السلوك من خلال التوقعات التي تخلق وتتطور بواسطة الآخر، فالناس من خلال التفاعل يتعلموا أن يتصرفوا بالطريقة التي يتوقعها الآخر منهم، وتتجلى طبيعة المجتمع في كونها انعكاس للتوقعات المتبادلة.

3- **الأدوار والتفاعل:** يؤدي المجتمع مهامه ويستمر في البقاء بسبب قدرة الناس على استخدام السلوك الرمزي أو السلوك الذي يستخدم الرموز كنتيجة لامتلاك اللغة، ومن أهم النتائج المترتبة على ذلك ما يسمى بالوعي الذاتي وأن مجموعة التوقعات المرتبطة بسلوك أشخاص معينين تسمى أدوارا، وتشكل الأدوار المعممة الثقافة وهي التي تحدد ما ينبغي أن يكون عليه سلوك الفرد بوصفه عضوا في جماعة وله أدوار معينة وهذا ما يعرف بتوقعات الدور.(حامد.خ، 2015، ص 125-126)

سادسا: الانتقادات الموجهة للتفاعلية الرمزية:

- تخليها عن استخدام الأساليب العلمية التقليدية(الكمية) وهذا لأن أصحابها اعتقدوا أن مضمون اهتماماتهم وقضاياهم ترتبط بالذات أو الوعي تتصف بالدراسات المتنوعة التي يصعب عليهم استخدام الأساليب الكمية.

- أخفقت في تحليل الكثير من المفهومات والتصورات والعوامل السيكولوجية وركزت على دراسة المعاني والرموز والفعل.

– أهملت في تحليلاتها دراسة الأبنية الكبرى وهذا ما جعلها غير قادرة على التنبؤ في القضايا التي حاولت معالجتها بصورة نظرية وميدانية واقعية في الوقت نفسه.

– وسعت في دراسة وتحليل المواقف الحياتية اليومية التي تتميز بالمواقف غير الظاهرة في المجتمع، وظهور العديد من التحليلات الغامضة في تصورات بعض روادها وهذا ما جعل العديد من قضاياها ومسلماتها غير قابلة للاختبار مما أدى إلى عدم الوصول إلى قوانين وتعميمات حولها.

– الطرق المنهجية والبحثية التي تعتمدها هذه النظرية خاصة ضرورة تقمص الباحث لأدوار الفاعلين لفهم الظاهرة على حقيقتها جعل نتائج البحث متأثرة بالاعتبارات الذاتية للباحث إلى حد كبير وتكون أقل موضوعية ويصعب تعميمها على الظواهر الأخرى.(بوجلال.م، 2015، ص 159–160)

المحاضرة السابعة: رواد التفاعلية الرمزية :

أولا: جورج هربرت ميد: 1863-1931: من رواد الفكر الأمريكيين الذين ساهموا في تحديد خصائص العلم الاجتماعي الحديث، رغم أنه عالم نفس وفيلسوف لكنه اهتم بالعمليات الاجتماعية أكثر كونه عالم اجتماع، ظهر عمقه الفكري في العلاقة بين العقل والذات والمجتمع، وفي معالجته للاتصال واللغة والرموز واهتم بموضوعات مثل: العلاقة بين العقل والجسد وطبيعة الوعي، ونظر للإنسان باعتباره قادر على تأمل ذاته والأشياء الأخرى التي تألف منها البيئة.

يعتبر ميد المؤسس الأول للتفاعلية الرمزية وتتمحور أهم أعماله تجاه أهمية اللغة والرموز(الإشارات) والاتصال في حياة الجماعات البشرية، وفي هذا الصدد يقول ميد:" إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يجعل اللغة والرمز والإشارات والإيحاءات ذات معنى ويكسب ذلك من خلال التفاعل الاجتماعي"، ومن أفكاره أن الذات أو النفس البشرية هي المرآة التي ينعكس عليها المجتمع بكل صوره وتناقضاته وتفاعلاته والذات لا توجد إلا في علاقة مع جماعات اجتماعية، والرموز عنده هي عوامل جوهرية لتسهيل الاتصال، (بوجلال.م، 2015، ص 133-134)

وقد حدد ميد المراحل الأولى التي يتم من خلالها تكوين الذات وهي: مرحلة ما قبل اللعب، مرحلة اللعب، مرحلة الإلمام بقواعد اللعب.(حامد.خ، 2015، ص 123)

ثانيا: هربرت بلومر: 1900-1986: اهتم بلومر بموضوعات الاتصال الجماهيري والسلوك الجمعي والعلاقات، يعد أول من اصطلح اسم التفاعلية الرمزية على هذه النظرية، يرى أن الفعل الاجتماعي الموجه للحصول على استجابة من آخر أو آخرين أو ما تعرف الذات العاكسة يؤدي إلى عملية التفاعل في حين أن التفاعل الرمزي هو السمة المميزة للتفاعل البشري،(بوجلال.م، 2015، ص 136)

ويمكن طرح افتراضاته في النقاط التالية:

- إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء بالنسبة لهم.

- هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي الإنساني.

- هذه المعاني تحور وتعدل ويتمتد اولها عبر عمليات تأويل يستخدمها الفرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.(حامد.خ، 2015، ص 123)

أما في الجانب المنهجي فقد دافع بلومر على ضرورة استخدام المفاهيم في التحليل العلمي وكيف يمكن استخدامها مثل: الذات وتعريف الموقف بشكل علمي يمكن الباحثين في أوقات مختلفة وبيئات متباينة من دراسة الظواهر نفسها، كما يرى أن مفاهيم وقضايا التفاعل الرمزي تسمح بالاختبار المباشر للعالم التجريبي ومن ثم فإن قيمة وصحة هذه القضايا والمفاهيم ينبغي أن تحدد من خلال هذا الاختبار وليس من خلال رؤية ما يطرأ على هذه المفاهيم والقضايا عندما تخضع لمقاييس غير ملائمة للبحث.

ثالثا: شارلز هرتن كولي: 1864-1929: تتلخص أهم أفكاره في:

- الجماعات الأولية هي التي تقوم أيضا بتشكيل الذات وتكوين خبرات الفرد المبكرة وتدعم المثاليات الاجتماعية العامة كما أنها تعتبر ظاهرة عامة في كافة التنظيمات الاجتماعية.

- العامل النفسي هو الجوهر الأساسي في عملية العلاقات الاجتماعية أو قيام المجتمع .

- تعتبر النفس المرآة العاكسة أو المنعكسة على البعد الاجتماعي لنمو الذات(الشخصية) تشير هذه النظرية إلى أن الإنسان ابن مجتمعه يتأثر بكل ما يجري فيه ويعكس في سلوكه توقعات المجتمع منه كعضو له أدواره المختلفة فهذا المجتمع.(بوجلال.م، 2015، ص 139)

رابعا: إرفنج جوفمان: 1922-1982: وجه اهتماماته لتطوير مدخل التفاعلية الرمزية لتحليل الأنساق الاجتماعية مؤكدا على أن التفاعل وخاصة النمط المعياري والأخلاقي كونه انطباع ذهني إرادي يتم في نطاق المواجهة كما أن المعلومات تسهم في تعريف الموقف وتوضيح توقعات الدور، منبين أهم أفكاره نجد:

1 – التفاعلية ومنظور الفن المسرحي: يرى بأن عملية تعاون مجموعة الممثلين على المسرح لإخراج المسرحية التي يقومون بها بمثابة ما يحدث في الحياة اليومية بين الأفراد طريقة تعايشهم وتفاعلهم وهذا ما يحدث بالفعل بين فريق الأداء المسرحي الذي يشبه تفاعل الجماعات الأولية أو كما يحدث في جماعات العمل والصداقة وكما يحدث في المهن الطبيعية.

2 – التفاعلية ودراسة المرض العقلي: اعتبر المستشفى العقلي ما هو إلا مؤسسة أو تنظيم أو نسق مغلق نسبيا يظهر أنماط التفاعل الاجتماعي التي تعكس جوانب أخرى من التمثيل المسرحي، كما حاول

إبراز نظام السيطرة وتناقض المصالح بين الهيئة العاملة وبين المرضى وذلك وفقا لمجموعة من العوامل تتمثل في الأيديولوجيا وطبيعة الأداء أو التوجيه والضبط.

3 – التفاعلية والأدوار والحرية: سعى جوفمان إلى تأكيده بأن الإنسان يمكن أن يقوم بمجموعة من الأدوار في ظروف أو مواقف معينة دون أن يكون هناك معيار واحد بينما حدده سابقا وبين الأدوار المثالية والحقيقية، كما سعى إلى دراسة المواجهات وكشفه عن أسباب وجود حالات توتر بين الفرد والدور الذي يشغله، اهتم بتحليل الكيفية التي يصطنع بها الفاعلون مفهوم الذات وكيف يكيفون أفعالهم من خلال الإشارات وكيف يظهرون عضويتهم ويبرهنون عليها داخل الجماعة وكيف يتكيفون مع المفارقات الطبيعية وكيف يتبادلون فيما بينهم أوضاعا عديدة. (بوجلال.م، 2015، ص 140-141)

المحاضرة الثامنة: الظاهراتية :

أولا: مفهومها: هي علم ظاهرات الوعي من أفعال وانفعالات وأفكار وإحساسات ومعطيات وأشياء، أي كلما يدخل في نطاق التحليل والوصف وكل مقومات هذا التحليل هي مقومات ظهورية فضلا عن التمييز بين الظهور والظاهر أي بين معطى متصل بما يظهر ومعطى متصل بالموضوع أي ما يبين عن نفسه.(بوجلال.م، 2015، ص 142)

وهي طريقة لوصف الأشياء الموجودة فعلا كجزء من العالم الذي نعيش فيه، والظاهرة قد تكون أحداث أو مواقف أو تجارب أو مفاهيم، فالظاهراتية تعني الوصول إلى الحقيقة الموضوعية من خلال الواقع حيث يصبح ما يعتقد الفرد واقعا، فالحقائق الاجتماعية لا يمكن فهمها أو إدراكها إلا من خلال معطياتها ومعانيها بالنسبة للأفراد في ذلك المجتمع.(حامد.خ، 2015، ص 127-128)

ترى هذه النظرية أنه لا يوجد واقع موضوعي خارج عنا قابل للمعرفة بل إن كل فرد يصنع واقعه بتصنيف أو فرز خبراته الشخصية وتظهر المعاني أو المعارف المشتركة للواقع عندما تتفق المعارف الفردية أو الذاتية .

ثانيا: أصولها: يعود أصل هذا المدخل إلى الفكر الفلسفي الذي ظهر خلال القرنين 18-19 وخاصة بعد أن نشرت أعمال رائد هذا الاتجاه وصانع مصطلح الفينومينولوجية "إدموند هوسرل" ومذهبه هذا هو محاولة لدراسة الشعور الذاتي الواعي وكذا دراسة الأشكال المختلفة للوعي وتنوعاته والطرق التي بها يعي الناس العالم الذي يعيشون فيه .(بوجلال.م، 2015، ص 142-143)

كانت في الأصل نظرية فلسفية ولكنها دخلت إلى علم الاجتماع من خلال المنهجية الشعبية، وقد سعت هذه النظرية في تطوير فلسفة تظهر الفعل الإنساني في سياق معاني الفاعلين بدلا من كونه محصلة مؤثرات خارجية.

ثالثا: مضمونها: يرتكز مضمون هذه النظرية على مفهومها الأكبر "التحليل الذاتي" أو الذات المتداخلة التي تعني إجابات على تساؤلات من بينها: كيف نعرف أفكار الآخرين؟، كيف يتم تبادل رؤانا وإدراكنا مع الآخرين؟، كيف يحصل التفاهم المشترك بين الفاعلين؟، معنى ذلك أن تداخل الفواعل لا يحصل بشكل منفرد أو من جانب واحد بل يتطلب حضور الآخر أولا وطرح أفكار ومناقشتها ثانيا وتبادل التفاعل بينهم ثالثا، حينها يتم تبادل المشاعر بينهم، وهنا توجد أنواع عديدة من التفاعل الاجتماعي من بينها: الفواعل

المتقابلة وجها لوجه كالأساتذة والطلبة، والفواعل التي لم تتقابل وجها لوجه كرجال الإعلام مثلا.(بوجلال.م، 2015، ص 148)

تتسم هذه النظرية بمنطق تفاعلي يقع بين فاعلين أو أكثر هدفها تشريح النسيج التفاعلي بينهما لتتعرف على نشأته وتطوره، ولتطلع على المعاني الذاتية ورؤية المتفاعلين ومشاعرهم ولتطلع على المتحكمات في هذا النسيج التفاعلي، لذلك افترضت هذه النظرية أن عقل الفاعل ليس مجردا بل مكتسبا لقواعد اجتماعية حصل عليها من محيطه الاجتماعي ثم صياغته بشكل ينسجم مع المحيط الذي يعيش فيه.

رابعا: بناؤها: يطرح "شوتز" مجموعة من المصطلحات لتفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية وهي:

1- **عالم البديهيات:** المواقف الطبيعية للناس أو المواقف المقنعة التي لا تقبل الطعن بسبب تعود الناس عليها.

2- **عالم الحياة اليومية:** له مجموعة من الصفات:

- عمل الفواعل ينصب حول معايشتهم لهذا العالم.
- يمنح هذا العالم خبرة ذاتية وخاصية متكاملة الجوانب.
- يبلور التخلل الذاتي بين الفاعلين نسيجا اجتماعيا يعكس طبيعته.
- خضوع تفاعل الفواعل إلى العامل الزمني.
- لا يبدي الفاعل عن شكوكه في العيش في هذا العالم.

3- **عالم الثقافة:** والذي يضم الرموز والإشارات والمعاني المتفق عليها من قبل أغلب أفراد المجتمع.

4- **عوالم واقعية اجتماعية:** متميزة بدرجة وضوحها وبداهتها المباشرة غير أنها مختلفة لأنها مستخلصة من ظروف وفترات زمنية خاصة، وتضم:

- عالم الخبرة المباشرة.
- عالم الخبرة غير المباشرة.
- عالم الإرث المخلف من الزمن القريب.

– عالم الاستخلاف من الزمن البعيد.(بوجلال.م، 2015، 150)

خامسا: النقد الموجه لها :

– جاءت تصورات أنصار هذه النظرية مرتبطة كلية بسوسيولوجيا المعرفة ولم تخرج عن نطاق هذا الفرع.

– كما أنها لم تطرح منظورا أو مدخلا لدراسة المجتمع أو النظام الاجتماعي.

– لم يوضح أنصارها كيفية تنظيم المعرفة أو الحصول عليها في عالمنا المتغير.

– يركز اهتمام هذه النظرية على المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمعات بوصفها أساس للحياة الاجتماعية وتجاهل الصراعات الجوهرية في المجتمع.(بوجلال.م، 2015، ص 160)

المحاضرة التاسعة: رواد الظاهراتية:

أولا: أدموند هوسرل: 1859-1938: جاء بعلم فلسفي جديد أسماه علم الظواهر يهدف هذا العلم إلى توخي الدقة والصدق بوصف الظواهر وترتيبها في إحكام، يقتصر المنظور الظاهراتي على وصف التجربة بالدرجة الأولى إضافة إلى إخضاع أية تصورات أو فرضيات للمساءلة والتجريب الدائم، ارتبط اسم هوسرل بالظاهراتية كونه أول من وضع الخطوط الرئيسية لها، والخاصية المميزة للتحليل الظاهراتي للظواهر الاجتماعية هي أنها تكشف بنية الجهاز المفاهيمي وعن الطرق التي نمارس بها وجودنا كآدميين تختلف عن الكائنات الأخرى.

تهتم الفينومينولوجيا من منظور هوسرل بتحليل البنى وعمل الوعي ومسلماته الرئيسية المضمرة في وعينا أو في رؤوسنا فلا معنى للعالم الخارجي إذا ما فصل عن وعينا.

ثانيا: الفريد شوتز: 1899-1959: سعى شوتز إلى أن يبني عالم ذاتي ومطالبته بضرورة أن يهتم هذا العلم بوضع العديد من المفاهيم والأفكار التصورية المجردة التي تسهم في تحليل المعنى وأفعال الآخرين وتساعد على إضفاء الطابع التفسيري للحقائق والوقائع الاجتماعية وذلك من خلال طرحه لأربعة أنماط مثالية حاول من خلالها تفسير العالم الاجتماعي وهي: عالم الخبرة المباشرة للواقع الاجتماعي المستخلصة من خلال الاتصال المباشر وينجم عن هذا الاتصال علاقة "النحن" التي تغذي خبرات كل منهما، أما عالم الخبرة غير المباشرة فهي المستخلصة من الواقع البعيد زمنيا أو عبر وسائط بشرية أو غير بشرية حيث تقلل من تدخل المتفاعلين في مشاعر وأحاسيس مشتركة، أما عالم اللاحقين وعالم الأسلاف أو عالم الإرث المخلوف والمستخلف اللذين يمثلان بواقي الحالات الماضية الناقصة في معرفتها الجزئية أو العناصر الدقيقة فهي تمثل خصوصية تراثية.(بوجلال.م، 2015، ص 147)

يؤكد شوتز على أهمية المعاني المشتركة أي أنه يؤكد على فكرة أن العالم هو عالمنا "نحن" أي ملكلنا وليس عالمي " أنا" أي ملك لي لأنه عالم بين ذوات لأننا نعيش فيه كأفراد مع الآخرين نرتبط معهم عن طريق عمل وتأثير مشترك نفهم الآخرين ونكون موضوع الفهم الآخرين .

حاول شوتز تفسير تشكل الظواهر من خلال الناس العاديين والخبراء والهدف من ذلك توضيح الثراء الفكري الذي يمكن أن تنطوي عليه محاولات التنظير بالاعتماد على الخبرات الشائعة.

عالج شوتز العديد من القضايا: الواقع الاجتماعي، مجالات المعنى، البناء الاجتماعي، التشيؤ، والافتراض الأساسي الذي تقوم عليه هذه القضايا هو أن "الحياة اليومية" التي تمثل نمط من التنظيم الاجتماعي وأن العالم المحسوس والخبرة الحياتية يمثلان الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع.(حامد.خ، 2015، ص 130)

ثالثا: جول مونترو: 1908-1995: صاحب كتاب "الظواهر الاجتماعية ليست أشياء" معارضا بذلك لوجهة نظر دوركايم المعروفة بهذا الصدد ويرى مونترو ظواهر الجاذبية فقط التي تشكل منطلق علم الاجتماع بينما نحن نصف حوادث أخرى فنحن نفهم في وجود الشواهد الصادقة في حد ذاتها وتوجد مثل هذه الشواهد في الخبرة المباشرة.

ويمكن اعتبار العالمين "بيتر بيرجر" و"توماس لكمان" من أبرز من أثرى الفينومينولوجيا في الستينات بعد العالم شوتز هؤلاء العلماء وغيرهم ممن ساهم في وضع الأرضية لنظرية شوتز وما يفسر أيضا بأن نظريته لم تأت من فراغ .

المحاضرة العاشرة: المنهجية الشعبية: (الإثنوميتودولوجية)

أولا: مفهومها: يتكون هذا المصطلح من مقطعين الأولإثنو والتي تعني الشعب أو القبيلة أو الناس أو السلالة، وتوضح المعرفة إلى طريقها يستطيع الفاعل أو الذات البشرية أن تصف الأشياء الخارجية المادية أو اللامادية، والمقطع الثاني يشير إلى الطريقة أو المنهج، وعن طريقه يستطيع الأفراد أن يحللوا أو يصفو معاني الأشياء الذاتية والواقعية، يهدف هذا المدخل إلى فهم الموقف الاجتماعي من الداخل وظهر استخدامه في دراسات ديناميات الجماعة باستخدام علم الاجتماع القانوني وعلم الاجتماع الطبي وسوسيولوجيا الإعلام والاتصال، وضعت هذه النظرية رؤية مختلفة للعالم بالنسبة للمداخل الكلاسيكية واتساقا منها مع المدخل الظاهري والتأثير على إحيائه وتعزيز المدخل الإنساني في علم الاجتماع وذلك ما جعل مدخل منهجية الجماعة يشكل نموذجا بديلا في علم الاجتماع .(بوجلال.م، 2015، ص 152)

أخذ الرواد دراستهم من الحياة اليومية كما يظهر من خلال تصورات الأفراد واتجاهاتهم وانحصر مجال اهتمامهم في دراسة كيفية تنظيم المواقف العملية في الحياة اليومية بطريقة اجتماعية وكيف يستوعبها الأفراد ويعرفونها ويتعاملون معها كمجموعة متصلة من الأحداث الفعلية، وكانت اهتماماتهم منصبة حول المعاني الخفية أو المضمرة التي توجد في عقول الأفراد عن مختلف المواقف الاجتماعية، يدعو هذا البديل إلى التركيز على الذات التي تجعل مقاومتها وتمردها تحررا جزئيا رمزيا محددا.(سكوت.ج، 2013، ص 46)

وهي تعني طريقة الأعضاء نحو تحقيق شعور أو إحساس عام عن عالمهم الاجتماعي، إذ تهدف هذه النظرية إلى تحديد كيفية استمرارية المجتمع عن طريق ممارسة العملية الناتجة عن السلوك والأفعال العقلانية لأعضائه.(حامد.خ، 2015، ص 131)

ثانيا: جذورها التاريخية: تعود الجذور الفكرية للإثنوميتودولوجيا إلى كل من التفاعلية الرمزية والفلسفة الظاهراتية وعلى الرغم من تأثر هذه النظرية بآرائها إلا أنها قد اتخذت لها وجهة نظر مختلفة عن الواقع والعالم الاجتماعي مما أدى إلى ظهورها على اعتبار أنها أحد البدائل النظرية المعاصرة، تعتبر هذه النظرية من أحدث الاتجاهات المعاصرة في علم الاجتماع وقد تضمنت بعض المفهومات والتراكيب اللغوية التي تعتبر في غاية الصعوبة، وتأتي أهمية دراستها إلى ما اتخذته من مواقف نقدية نحو الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع ولقد أثارت تساؤلات وقضايا تختلف عن تلك التي أثارتها الاتجاهات

النظرية الأخرى، ويوضح التراث العلمي والجذور الفكرية لهذه النظرية أنها ارتبطت كثيرا بالإسهامات العلمية والنظرية والمنهجية التي طرحها علماء نظريتي كل من التفاعلية الرمزية والفينومينولوجية، ومن عوامل ظهورها فقدان الثقة في النظرية البنائية الوظيفية التي لم تعد الإطار المرجعي للتفسيرات السوسيولوجية بصورة مرضية وتفسير الواقع خاصة بالنسبة للمجتمع الأمريكي وهذا ما أدى إلى وجود تناقض بين الرؤية النظرية والواقع الذي تقوم بتفسيره ولا سيما عدم اهتمامها بمجموعة من القضايا والتناقضات.(عبد المعطي.ع.ب، 1981، ص 245)

ثالثا: الافتراضات الأساسية للنظرية الاثنوميتودولوجيا:

1- افتراض وجود نظام أخلاقي هو البناء الاجتماعي الذي يقوم على مجموعة من القيم والمعايير ويعتبر النظام الأخلاقي أساس التنظيم الاجتماعي.

2- ضرورة أن يقبل جميع الأفراد أو الأعضاء في المجتمع باعتبارهم المشاركين في الحياة اليومية لأنشطته المختلفة وللنظام الأخلاقي باعتباره مصدرا للحقيقة الاجتماعية.

3- ترتبط جميع التنظيمات بالنظام الأخلاقي كما أنه الأساس التفسيري للحقيقة الاجتماعية.

4- ضرورة أن يقوم الأفراد باعتبارهم أعضاء في المجتمع بتوجيه أفعالهم وسلوكهم نحو متطلبات النظام الأخلاقي حتى يمكن فهم حصيلة أنشطتهم.

5- يتميز التنظيم الاجتماعي والأخلاقي بالتغير المستمر .(حامد.خ، 2015، ص 132)

رابعا: منهجها: من أكثر إسهامات هذه النظرية هو الإسهام المنهجي حيث طورت بعض المناهج التي تستخدم في البحث الاجتماعي مثل المنهج التوثيقي والمنهج شبه التجريبي الذي أطلق عليه" التجربة الاثنوميتودولوجية" مع الاهتمام بالأسلوب الكيفي الذي يعتمد على استخدام الملاحظة بالمشاركة دون الأسلوب الكمي الذي يعتمد على طريقة المسح الاجتماعي أو الاستبيان، أما في مجال جمع البيانات الاجتماعية فيجب الاهتمام بالدراسات الميدانية وذلك من خلال دراسة الحقائق الاجتماعية كأشياء وتحليل العلاقات والظواهر السببية المرتبطة بها علاوة على تحليل البيئة الطبيعية والاجتماعية التي ارتبطت بها أثناء إتمام الحقائق والسلوكات.(حامد.خ، 2015، ص 133)

خامسا: الانتقادات الموجهة لها :

- فشل أصحاب هذه النظرية في تحديد مناهجهم وطرق بحثهم بشكل واضح.

- التحيز الواضح لأصحاب هذه النظرية للأسلوب الكيفي في البحث الاجتماعي دون الأسلوب الكمي.

• النظر إلى الفرد على أساس أنه يمثل وحدة التحليل الأساسية في الدراسة وإغفال دراسة التنظيم الاجتماعي أو الأنساق الاجتماعية (بوجلال، 2015، ص 161)

المحاضرة الحادي عشرة: رواد المنهجية الشعبية: (الإثنوميتودولوجية)

أولا: هارولد جارفنكل: 1917-2011: يعتبر مؤسس المنظور الاثنوميتودولوجيا التي تعني الدراسة التي توضح كيف يفهم الناس ما يقوله الآخرون أثناء عمليات التفاعل الاجتماعي اليومية، كما تهتم بالمنهجيات الجماعية (الشعبية)، أهتم بتحليل الأساليب التي يستخدمها الناس العاديين في حياتهم اليومية لتفسير أنشطتهم وجعلها مفهومة سواء لأنفسهم أو الآخرين، كما اهتم بدراسة اللغة والمعنى وبالطريقة التي يسهم بها حديثنا في خلق واقعنا الاجتماعي.

ثانيا: آرون سيكوريل: 1928-2023: سعى في إطار معالجته الاثنوميتودولوجيا إلى أن يربط بين آرائه النظرية الخاصة ورؤيته التحليلية والبحثية، قام بدراسة مشكلة انحراف الأحداث مركزا على الطرق والمناهج التي يستخدمها رجال الشرطة والموظفين الرسميين مبينا الطرق التي يتبعها رجال الشرطة خلال أنشطتهم اليومية هادفا إلى توضيح أن مضمون السجلات الرسمية يتشكل في ضوء ممارسات يومية تخضع لقواعد روتينية غير رسمية وينتهي من بحثه هذا إلى أن سجلات البوليس لا تعكس الواقع الفعلي ولا تكشف عن طابع المساومة والمفاوضة التي تتضمنها الإجراءات القانونية.(بوجلال.م، 2015، ص 154)

ثالثا: هارفي ساكس: 1935-1975: تأثر بالتقاليد وكان رائدا من خلال دراساته عن طريق استخدام الناس للغة في الحياة اليومية وكان لعمله تأثير كبير في مجالات مختلفة مثل اللغة وتحليل الخطاب، أسس قواعد تحليل المحادثة أو ما يعرف أحيانا بخطاب الحياة اليومية سواء كانت أحاديث هذا الخطاب تجري بشكل رسمي أو غير رسمي، كما قام بدراسة محادثات ظاهرة الانتحار مستخدما مادة الانتحار المتعمقة في المحادثات التي يقوم بإملائها المنتحر ذاته أو من يتصل للإبلاغ عن حالة الانتحار.(بوجلال.م، 2015، ص 155)

رابعا: إيرفنغ جوفمان: 1922-1982: درس المحادثة التي تتم بين فرد أو أكثر معتبرا المحادثة نسقا اجتماعيا صغير الحجم يتضمن قواعد ونظما خاصة تقوم بتنظيم طريقة وأسلوب التحدث وتحدد حدوده ومنع تناول مواضيع تسيء أو تربك وتشوه موضوع المحادثة، يميز جوفمان بين ثلاثة أنواع من المحادثات وهي:

1- **المحادثة الساخرة:** يكون الحديث محل سخرية أو استهزاء أو يضخم المتحدثان الأخطاء بأسلوب هزلي.

2- **المحادثة الرسمية:** الحديث بين المتحاورين يكون حسب الدرجة أو التسلسل الموقعي حسب ترتيب السلم التنظيمي أو السياسي.

3- **الحديث مع الذات:** محاسبة الذات والحديث مع الذات أو التفكير بصراحة تامة حول موضوع محل انحراف من قبل الفرد يخرج من الحديث به أمام الآخرين فيفكر به ويحاوره من عدة جوانب ويغوص فيه بكل حرية ثم يتخيل حضور الآخرين أمام موضوع إحراج هو يتصور ردود فعلهم تجاهه لأنه يشعر بأنه محتاج إلى شاهد على تقويم انحرافه أو أخطائه ليعزز بواسطته ذاته التي تحاسبه على ذلك، إنه الإدراك الداخلي للإنسان هذه المحاسبة الذاتية يسميها جوفمان بالنظام البيئوي.(بوجلال.م، 2015، ص 157)

خامسا: أما دراسة "**موهان**" و"**وود**": اهتما بدراسة الواقع الاجتماعي وذلك باعتباره حقيقة اجتماعية يرتبط بممارسات ووعي الفاعلين ولكن يفهمان الواقع الخارجي باعتباره شيئا مستقلا عن أفعالهم وذلك بالاستناد على عدة عناصر: التأملات الناتجة عن الواقع الاجتماعي-مكونات المعرفة الاجتماعية-التأمل الذي يحدث في عملية التفاعل، ويطرحان خمس وجهات نظر حول الواقع:

1- **الواقع كنشاط تأملي:** فجميع الناس يشتركون في عملية تكون الواقع الاجتماعي من خلال أفكارهم وأفعالهم.

2- **الواقع كبناء معرفي متماسك:** يقوم الناس خلال أنشطتهم اليومية بتصنيف العالم إلى مجموعة من الوقائع المتماسكة.

3- **الواقع كنشاط تفاعلي:** الواقع الاجتماعي عملية موجودة يعتمد على سلسلة متداخلة أو متبادلة التفاعل والتكوين الاجتماعي للأعضاء أو المشاركين فيه.

4- **إمكانية تجزئة الواقع:** تتميز الوقائع الاجتماعية بخاصية التجزئة وليست كبناءات جامدة.

5- **الوقائع لها القدرة على الازدواجية والتنوع:** فالناس يستطيعون العيش في عوالم متنوعة فالفرد يتحرك في فضاءات اجتماعية مختلفة.(حامد.خ، 2015، ص 134)

وقد تطورت الدراسات الاثنوميتودولوجيا في المؤسسات القانونية والقضائية وخاصة المحاكم وهذا ما نجده في دراسات:"بولنر" و"سميث" و"هيستر" و"ويلكنز" والتي يطلق عليها دراسة اثنوميتودولوجيا الجريمة والتي اهتمت بإعادة تعريف وتمييز الجريمة كنوع من السلوك الإنحرافي للأفراد. (حامد.خ، 2015، ص 135)

محاضرة الثانية عشرة: البنيوية:

أولا: تعريف البنيوية: جذبت البنيوية إليها عددا من علماء الاجتماع خاصة أولئك الذين كان توجههم نحو تطوير علمية علم الاجتماع فالبنيوية تمثل نسقا من التفكير على درجة عالية من التجريد تسمح بقدر كبير من الدقة التحليلية كما أنها تبشر بإمكانية بقاء النماذج الصورية إلى جانب استخدام الأساليب الإحصائية والرياضية المتطورة ويبدو أنها تقدم أيضا منظورا تاريخيا عن الحياة الاجتماعية علاوة على أنها تقدم منظورا ذي مجال رحب قادر على دراسة كل شيء من بناء العقل إلى بناء المجتمع إلى بناء العالم الطبيعي، ولهذه الأسباب وغيرها انجذب بعض علماء الاجتماع إلى التوجه البنيوي في السنوات الحديثة فقد سعى بعض أنصار المنهجية الشعبية إلى استخدام هذا التوجه.(كريب.إ، 1999، ص 199)

البنيوية الأنثروبولوجية: كلود ليفي ستراوس: تعد الأعمال التي قام بها كلود ليفي ستراوس في الأنثروبولوجيا أكثر الأعمال أهمية بالنسبة للبنيوية إذا انصب الحديث على علم الاجتماع وقد تأثر البنيويون في علم الاجتماع تأثرا قويا بأعمال ليفي ستراوس، ومن أسباب اصطباغ أعمال ليفي ستراوس بالصبغة التركيبية وجود أنماط متعددة من الأبنية فيها:

النمط الأول: وهو الأبنية والنظم الاجتماعية الكبرى للعالم الاجتماعي هو النمط الذي بذل بشأنه جهدا عظيما لتفنيد الزعم بأنها أبنية.

النمط الثاني: وهو من أهم أنماط البناء في أعمال ليفي ستراوس أي النموذج الذي يصوغه العالم الاجتماعي لتوضيح البناء الأساسي للمجتمع.

النمط الثالث: وهو بناء العقل الإنساني، وتأخذ نماذج العالم الاجتماعي التي يصوغها العلماء الاجتماعيون صورا متشابهة في المجتمعات المختلفة لأن المنتج الإنساني في شتى أرجاء العالم يصدر عن نفس المصدر الرئيسي وهو العقل الإنساني وشكل بناء العقل البناء النهائي في أعمال ليفي ستراوس، وكان الإبداع الرئيسي لليفي ستراوس هو إعادة صاغة طائفة عريضة من الظواهر الاجتماعية كأنساق للاتصال مما يجعلها بالتالي قابلة للتحليل البنائي.(عبد الجواد.م، 2009، ص 388-384)

وعلى الرغم من أن ليفي ستراوس كرس اهتمامه بالمجتمعات البدائية فقد آمن بأن جميع المجتمعات لها بناء أساسي متشابه وكان تركيزه على المجتمعات البدائية مرجعه أنها أقل تشوها وأيسر في اكتشاف بنائها وبالنسبة للمجتمعات الحديثة تم تطوير مجموعة من النماذج الشعورية أو الأنساق المعيارية لتوضيح

واقعها البنائي، ويقوم معظم علماء الأنثروبولوجيا بدراسة ما يقوله الناس ويفعلونه أما ستراوس فكان أكثر اهتماما بالمنتجات الإنسانية لهؤلاء الناس فقد كان مشغولا بالبناء الاجتماعي لهذه المنتجات وليس بمعانيها الذاتية أو جذورها في العمليات الذاتية وعندما يبحث في المنتجات الإنسانية المتعددة كان يهتم بالعلاقات التبادلية بينها والبناء هو رسم مخطط لهذه العلاقات المتبادلة ونظرا لأن الباحث هو الذي يصوغ البناء فإن اختلاف الباحثين يمكن أن يفضي إلى صياغة أبنية مختلفة ويتعين فهم نقطتين هنا هما أن الأبنية من صنع الباحثين وأن هذه الأبنية ليس لها وجود في العالم الواقعي، ويبدو ظاهرا أن الأبنية عند ستراوس هي نفسها الوقائع الاجتماعية عند دوركايم بمعنى أن كليهما له وجوده المستقل عن الفاعل ويمارس قهرا عليه ومع ذلك فإن ستراوس لم يقم بتحليلاته على المستوى المجتمعي أي مستوى الوقائع الاجتماعية.(طلعت.إ، والزيات.ك، 1999، ص 23)

وتؤدي وجهة نظر ستراوس بالطبع إلى مشكلة شائعة في العلوم الاجتماعية وهي أن العقل ليس قابلا للملاحظة المباشرة وهذا ما أدى بستراوس إلى التركيز على المنتجات الإنسانية والعلاقات المتبادلة بينها ولم يكن اهتمامه هنا بهذه المنتجات في ذاتها بل بما يمكن أن تخبرنا به عن البناء المنطقي للعقل ولذلك لم تكن دراساته عن بناء المجتمع البدائي بصفة عامة والأنساق القرابية والأسطورية بصفة خاصة هدفافي حد ذاته بل كانت وسائل لمساعدته في فهم الأبنية العقلية الأساسية.(عبد الجواد.م، 2009، ص 390-392)

ثانيا: تاريخها: انبثقت البنيوية من تطورات متنوعة في مجالات عديدة ويعد علم اللغة مصدر البنيوية الحديثة ومعقلها الحصين حتى يومنا هذا، وتبرز أعمال فرديناند دي سوسير في تطور علم اللغة البنائي بصفة خاصة والبنيوية في مجالات أخرى عديدة بصفة عامة، فاللغة هي النسق النحوي الشكلي وهي نسق من العناصر الصوتية التي تحكم العلاقات بينها قوانين محددة ووجود اللغة هو الذي يجعل الكلام ممكنا والكلام هو اللغة الواقعية أي الطريقة التي يستخدم بها المتكلمون اللغة للتعبير عن أنفسهم، وقد اتسع مجال الاهتمام بالبناء ليتجاوز اللغة إلى دراسة جميع أنساق الإشارة ويطلق على هذا الاهتمام ببناء أنساق الإشارة السيميوطيقا "علم العلامات" وهو أوسع نطاقا من علم اللغة البنائي لأنه لا يتضمن دراسة اللغة فحسب ولكنه يشمل أيضا الأنساق الأخرى للإشارات والرموز مثل تعبيرات الوجه ولغة الجسد والنصوص الأدبية وكل صور الاتصال في حقيقة الأمر، وتهتم المجالات العديدة التي امتدت إليها البنيوية بالاتصال بطريقة أو بأخرى وتشمل الماركسية، التحليل النفسي، الفنون التشكيلية والمسرح

والموسيقى والنقد الأدبي والفلسفة والأنثروبولوجيا وهي أكثر المجالات أهمية بالنسبة لتطور علم الاجتماع البنيوي.(عبد الجواد.م، 2009، ص 387-388)

ثالثا: الماركسية البنائية: كان يعتقد أن البنوية الحديثة بدأت مع أعمال سوسير في علم اللغة إلا أن هناك من يزعم أنها بدأت مع أعمال كارل ماركس عندما افترض أن البناء لا ينبغي خلطه مع العلاقات المنظورة وفسر منطقها الخفي، وعلى الرغم من اهتمام كل من الماركسية البنائية والبنيوية عموما بالأبنية فإن كل مجال صاغ مفهوم البناء بطريقة مختلفة، ويشارك بعض الماركسيين البنائيين البنيويين الاهتمام بدراسة البناء كمطلب ضروري لدراسة التاريخ وعبر عن ذلك موريس جودلييه بقوله:" إن دراسة الأداء الوظيفي الداخلي للبناء لابد أن تسبق دراسه نشوئه وتطوره"، وهناك وجهة نظر أخر يشترك فيها البنيويون والماركسيون البنائيون وهي أن البنيوية ينبغي أن تهتم بالأبنية أو الأنساق التي تشكلت نتيجة لتفاعل العلاقات الاجتماعية، وعلى الرغم من أنهما تختلفان اختلافا بينا حول ماهية البناء الذي تعدانه شيئا حقيقيا فالبناء عند ستراوس هو النموذج وعند الماركسيين هو البناء الأساسي للمجتمع.(عبد الجواد.م، 2009، ص 394-395)

رابعا: أوجه الاختلاف بين البنائية الماركسية والبنيوية:

- الماركسيون يتبنون الاستنتاج الجدلي في حين نجد البنيويين أكثر نزوعا إلى استخدام العقل التحليلي.
- يدافع البنيويون عن الحاجة إلى إجراء دراسات آنية أما الماركسيون فهم أكثر ميلا إلى المطالبة بالتحليلات التتبعية.
- ينزع الماركسيون ذوو النزعة الإنسانية إلى التركيز على الفاعل الإنساني أما البنيويون فيرون أن هذا التركيز غير علمي.
- يؤمن الماركسيون بأن النظرية يمكن أن تساعد في التغير الاجتماعي أما البنيويون فيزعمون أن الناس خاصة في المجتمع الحديث مع التسليم بعمومية أبنية معينة ينزعون إلى إضفاء الطابع الأسطوري على العالم الاجتماعي وأن فرص التغير السياسي الهادف فرص ضئيلة.
- والاختلاف الأخير يكمن في مستويات التحليل لديهما والاختلاف هنا هو بين المادية والنزعة الاختزالية النفسية إذ يميل الماركسيون إلى التركيز على أبنية المجتمع في حين يهتم البنيويون بالأبنية العميقة للعقل.(عبد الجواد.م، 2009، ص 395-396)

بنيوية جوفمان: نظر جوفمان فيما وراء وخلف مواقف الحياة اليومية بحثا عن الأبنية التي تحكمها بطريقة غير منظورة وهذه الأبنية هي بمثابة مخططات للتفسير تمكن الأفراد من تحديد وفهم الأحداث التي تحدث في محيط حياتهم وفي العالم ككل وتقوم الأطر بوظيفة تنظيم الخبرات وتوجيه الفعل سواء أكان فعلا فرديا أم فعلا جمعيا وقد أطلق جوفمان على هذه الأبنية غير المنظورة "الأطر" وعلى الرغم من أن المواقف قد تختلف في خصائصها فإن الأطر تحتفظ بقواعد مستقرة نافذة المفعول، وعليه فإن إشكالية جوفمان لا تدعم بالتالي دراسة التفاعل الملحوظ للحياة اليومية في حد ذاته وإنما تدعم دراسة بنائه وأيديولوجيته الدائمين ولا تدعم دراسة المواقف وإنما تدعم دراسة أطرها.(عبد الجواد.م، 2009، ص 398)

خامسا: الانتقادات الموجهة للبنيوية:

- لم تحقق البنوية قبولا واسع الانتشار في علم الاجتماع، فالبنيوية ليس لديها فقط القليل الذي تقدمه إلى الاهتمامات التقليدية في علم الاجتماع بل إنها تشكل أيضا تهديدا عميقا لهذه الاهتمامات.
- يولي البنيويون اهتماما ضئيلا بصفة عامة بالموضوعات الصغرى التقليدية في علم الاجتماع مثل الوعي الإبداعي والفاعلين والفعل والسلوك والتفاعل.
- يصعب أن نعثر في البنيوية على الفاعل ومختلف العمليات على المستوى الفردي ناهيك عن استحالة تطبيق البنيوية على الاهتمامات الكبرى التقليدية لعلماء الاجتماع.(عبد الجواد.م، 2009، ص 399)

المحاضرة الثالث عشرة: حول ما بعد البنيوية:

أولا: جاك ديريدا وما بعد البنيوية: تعد ما بعد البنيوية بمثابة نظرية في المعرفة واللغة وقد كان تأثير ديريدا في مجالات النقد الأدبي ونظرية الأدب والتحليل الثقافي تأثيرا قويا ويثمن النقاد في مجال الأدب منهج قراءة النصوص الذي أطلق عليه ديريدا "التفكيك" وقد انتشر هذا المنهج في أقسام الإنسانيات بالجامعات الأمريكية متحديا النظرية التقليدية في الأدب والنزعة الثقافية التي سادت من خلال النزعة الموضوعية في تحليل النصوص، وبعض الرؤى التفكيكية بدأت في إثراء العلوم الاجتماعية كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع خاصة فيما يتعلق بتحليل الأعمال والممارسات الثقافية، يصر ديريدا على أن كل نص لا يمكن الإمساك به بمعنى أنه يخفي بداخله صراعات بين آراء مختلف المؤلفين وكل نص عبارة عن حلبة للخلاف في الرأي بمعنى أن ما يقال في الظاهر لا يمكن فهمه دون الإشارة إلى ما يخفيه سياق النص من معنى ودلالة وهذه المعاني الخفية في سياق النص يمكن اعتبارها افتراضات يقوم عليها النص حتى يتسنى فهمه، وترتكز فكرة عدم الإمساك بالنص عند ديريدا على فكرة الاختلاف ويزعم ديريدا أنه من طبيعة اللغة اقتران ظهور المعنى بالإشارة إلى المعاني الأخرى التي يكتسب منها دلالته ولذلك لا يمكن لنا مطلقا تأسيس معاني مستقرة بمحاولة التطابق بين للغة والعالم الذي تخاطبه وبدلا من ذلك يكون المعنى محصلة اختلاف الدلالات لتي نلصقها بالكلمات فكل تعريف يحتاج إلى تحديده وتوضيحه بالضرورة فالمعنى يكمن دوما في المستقبل ولا يمكن لاختيار الكلمات أن يقوم بالتفكير بالإنابة عنا كما لا يمكنه أن يحل لخلافات الفكرية الرئيسية، وتبدو صلة أعمال ديريدا بالعلم الاجتماعي صلة وثيقة إذ أن نظريته في النقد الأدبي المستمدة من ما بعد البنيوية تطرح طرقا لقراءة وإعادة صياغة الخطاب التطبيقي والمنهجي للعلوم الاجتماعية الإمبريقية.

- لا يقتصر منهج ديريدا على فك رموز الجوانب الفنية والتصويرية المميزة للعلم الاجتماعي الكمي ولكنه يعد مثالا على أسلوب القراءة والكتابة ويمكن قراءة علم المناهج على أنه نص بلاغي يرمز بفروض وقيم معينة إلى العالم الاجتماعي ويرفض منهج التفكيك النظر إلى علم المناهج على أنه مجموعة من الإجراءات الفنية التي يمكن بواسطتها معالجة البيانات فعلم المناهج يمكن أن يكون بمثابة كتاب مفتوح للقراء الذين يثير فضولهم افتراضات هذا المنهج ونتائجه الإمبريقية، ومنهج التفكيك يمكن أن يساعد في الكشف عن القيم والمصالح التي تحول دون انتشار العلم وهذا من شأنه أن يسهم في تسييس العلم وإضفاء الصبغة الديمقراطية الديمقراطية عليه بإتاحة

نصوصه للقراء بما يسمح لهم بالانهماك باللغة المنمقة للعلم بكفاءة أكبر إلى جانب تفنيد الفروض العلمية عند الضرورة، وتساعد ما بعد البنيوية قراء العلم وكتابه في تثمين انهماكهم بالنص العربي وتضيف كل إيماءة بلاغية للنص إلى معناه العام مهما كانت غير دالة في ظاهرها ويسهم كيفية ترتيب الهوامش ووضع عنوان للبحث ووصف المشكلة وإثبات شرعية موضوع البحث من خلال مراجعة الأدبيات والاستعانة برموز المنهج الكمي كل ذلك يسهم في فهم النص.(عبد الجواد.م، 2009، ص 521-525)

ثانيا: ميشال فوكو وما بعد البنيوية: شملت أعمال فوكو اهتمامات منهجية إلى جانب دراسات إمبريقية خاصة عن الجنون ومستشفى الأمراض العقلية والطب وميلاد العيادة الطبية والجريمة ونظام السجون والجنس والضبط الاجتماعي للسلوك الجنسي ولا تقتصر أهمية هذه الأعمال على نظرية علم الاجتماع فحسب ولكنها تمس أيضا عدة فروع داخل علم الاجتماع وإلى جانب شمول أعمال فوكو لموضوعات متعددة فقد ذاع انتشارها وأصبحت عرضة لتفسيرات متعددة، كان فوكو يقوم بما أسماه "أركيولوجية (علم الآثار) المعرفة" في أعماله المبكرة عن علم المناهج وتمثلت موضوعات الدراسة عنده في أبنية المعرفة والأفكار وأشكال الخطاب وقد قابل فوكو اركيولوجية المعرفة عنده بالتاريخ وتاريخ الأفكار اللذين يعتبرهما على درجة عالية من الرشد، كان فوكو مهتما بالممارسات المنطقية الأساسية التي شكلت أساس الخطاب العلمي خاصة في مجال العلوم الإنسانية وقد تخلى فوكو فيما بعد عن هذا المدخل البنيوي في أعماله المبكرة، وتجسد عبارة جينولوجية (علم الأنساب) المعرفة توجها تاليا عند فوكو وقد اهتم بالكيفية التي يتحكم بها الناس في أنفسهم وفي الآخرين من خلال إنتاج المعرفة وهو يرى أن المعرفة تولد القوةبتشكيل الناس كفاعلين ثم التحكم في الفاعلين بالمعرفة كما اهتم بالأساليب والتقنيات المستمدة من المعرفة وكيف أنها تستخدم بواسطة النظم المتعددة لممارسة القوة على الناس.(عبد الجواد.م، 2009، ص 400-402)

المحاضرة الرابع عشرة: الحداثة وما بعد الحداثة:

أولا: مفهوم الحداثة: يشير مصطلح الحداثة إلى مرحلة تاريخية طويلة نسبيا بدأت إرهاصاتها في أوروبا منذ أواخر القرن السادس عشر وتميزت في القرن السابع عشر بسلسلة من التغيرات الكبيرة والعميقة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وشملت بشكل متداخل ومتفاعل عمليا مجالات البحث والمعرفة العلميين والتطبيق التكنولوجي وأشكال ومؤسسات الحكم السياسية والمدنية والتشريعية والقانون والمعاملات التجارية وذلك في إطار عمليات بناء الدول القومية وتزايد سلطاتها مع تزايد مساحات الحرية والمسؤولية الفردية أيضا، فهي إذن نمط تفكير أكثر منه مفهوم فهي أشبه بأخلاق التغير وتقاليد البحث عن الجديد والجديد دائما مؤقت يزول لصالح مستجد حديث فالتغير هو القاعدة الذهبية،(بوجلال.م، 2015، ص 207)

وفكرة الحداثة مرتبطة بفكرة العقلانية فهي تصور المجتمع على أنه نظام يخضع للعقل بوصفه الأداة الوحيدة لتحرير الطبيعة الإنسانية من جميع السلطات المحيطة به.

الحداثة تعني انتصار العقل وإحلال العلم محل اللاهوت فالعقل هو الذي يوجه العلم وتطبيقاته على أرض الواقع وهو الذي ينظم المجتمع بطريقة مناسبة لإشباع حاجيات أفراده وإسعادهم وجوهر الحداثة هو الحرية أي حرية التفكير والتعبير واستقلالية الضمير البشري.(صالح.ه، د.ت، ص 8)

ثانيا: مفهوم ما بعد الحداثة: ما بعد الحداثة هي ارتباط تاريخي تعاقبي للحداثة وهو نمط الإدارة المهيمن في مجتمعنا شبه المجتمع بالسوق الذي تبدو فيها الرهانات الإيديولوجية بل والسياسية كأنما اختفت ولا يبقى سوى الصراع من أجل المال والبحث عن الهوية وتحل محل المشكلات الاجتماعية مشكلات غير اجتماعية مشكلات الفرد وكذلك مشكلات الكوكب التي تفيض عن الحقل الاجتماعي والسياسي، ويشير مفهوم الحداثة إلى جملة الممارسات الثقافية والتحديثية المرتبطة بالجوانب الاقتصادية والتقنية والمعرفية التي يمكن أن نطلق عليها علم ما بعد التقليد، وقد شكلت الحداثة جملة التحولات التي يمكن اعتبارها عصرا جديدا، وهذا ما أدى إلى تطور فكرة ما بعد الحداثة باتجاه اللانظام أو بالأحرى التركيز على أن الواقع ذو طبيعة متغيرة مما يحرر الإنسان من هيمنة البنى الاجتماعية وهذا ما جعل بعض المنظرين المحدثين وما بعد المحدثين يرون أن ما يتحكم في عالم اليوم هو وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، ويرون أن مجتمع ما بعد الحداثة يتسم بدرجة عالية من التعدد والتنوع. (كابان.ف، ودورتيه.ج، 2010، ص 367)

ثالثا: العلاقة بين الحداثة وما بعد الحداثة: يرغب الكثير في قراءة الفكر ما بعد الحداثي كانعكاس لما يحصل من تحولات اجتماعية واقتصادية ونفسية في المجتمعات الغربية وهم بذلك يعودون بظاهرة ما بعد الحداثة إلى نقطتين رئيسيتين أولهما التأكيد على خصوصية الظاهرة بحكم نشأتها في المجتمعات الغربية وعدم خضوع المجتمعات الأخرى لتحولات من نوع مماثل مما يجنبها أو يبعدها عن الجدل القائم حول ما بعد الحداثة أما النقطة الأخرى فهي الإصرار على الربط الميكانيكي ين الفكر ما بعد الحداثي وتحولات المجتمع الغربي بحيث تصبح كل أفكار ما بعد الحداثيين إفرازا طبيعيا لما عاشه الغرب من تناقض في الايديولوجية الحداثية لا سيما في علاقات المركز بالهامش وما نشأ عنها علاقات الاستغلال وفقدان للمساواة وسيطرة للنخبة وفرض هيمنة التغريب على مجتمعات العالم الثالث.(بوجلال.م، 2015، ص 208)

رابعا: الجذور التاريخية لما بعد الحداثة: ارتبطت الجذور التاريخية لنظرية ما بعد الحداثة بالسياق التاريخي التي ظهرت فيه مفاهيم وتصورات هذه النظرية يرجع الفضل في استعمال مصطلح ما بعد الحداثة ل"ارلوند توينبي" حيث أرجع تاريخ ظهور فكرة ما بعد الحداثة بظهور ما يعرف بالمرحلة الرابعة في التاريخ الغربي بعد انهيار عصور الظلام واصفا مجموعة التغيرات الحديثة التي ظهرت مع نشأة الطبقات البرجوازية الوسطى وأدت إلى الاستقرار الاجتماعي وتبني العقلانية، ثم"روزنبرخ" استخدم مفهوم ما بعد الحداثة ليصف الأحوال الجديدة للحياة الاجتماعية حيث وصف المجتمع الغربي باللاعقلانية والفوضوية واللامعيارية، كما اهتم عالم الاقتصاد"بيتر دريكر" بهذا المفهوم وقد وصف تأثير التكنولوجيا وطبيعة القوة التي تحدد المخاطر المتعددة في المجتمع، واستعملته المدرسة الاجتماعية البريطانية ووظفته تحت مسمى علم اجتماع ما بعد الحداثة لدى "سكوت لاش" و"ديفيد هارفي" و"انتوني جيدنز" وغيرهم ممن حاولوا التخلي عن مفاهيم ونظريات علم اجتماع الحداثة.(بوجلال.م، 2015، ص 210-211)

خامسا: نظرية ما بعد الحداثة: إنها نظرية معاصرة جاءت لتقييم وانتقاد النظريات السوسيولوجية الأخرى فهي نظرية ذات طابع نقدي تحاول أن تعيد تفسير الواقع الاجتماعي وأنساق الفكر الإنساني، تهدف هذه النظرية إلى البحث عن أسس جديدة لتفسير المعرفة الإنسانية وعلى أي حد أصبحت هذه المعرفة ذات طابع عالمي وما هي مواطن الضعف والقوة التي ارتبطت بهذه المعرفة ولا سيما ارتباطها بالعقلانية والواقعية، يرى بعض المنظرين الحداثيين وما بعد الحداثيين أن ما يتحكم في عالم اليوم هو وسائل الإعلام والاتصال الحديثة التي تنتزعنا من ماضينا ومن جوانب كثيرة من حاضرنا وأن مجتمع ما بعد

الحداثة يتسم بدرجة عالية من التعدد والتنوع فإننا نعيش في عالم يتشكل ويعاد تشكيله باستمرار وبالتالي تتعرض هوياتنا ومفهومنا لذاتنا ومشاعرنا ومواقفنا الذاتية لسلسلة من التحولات إننا نمر بمرحلة انتقالية إلى عصر جديد.(غيدنز.أ، 2005، ص 716)

الأسس التي تقوم عليها نظرية ما بعد الحداثة:

- الإيمان بالعلم الطبيعي.
- الإيمان بفكرة التقدم الإنساني وأن البشرية تسير وتتقدم وفق خط تصاعدي.
- حتمية التاريخ وأنه يسير في خط مستقيم ولا يتراجع إلى الوراء.
- التمييز المطلق بين الذات والموضوع.
- العقلانية بمعنى قدرة العقل في تحقيق التطور والتقدم والتمييز بين ما ينفع الفرد والمجتمع هو سلاح الإنسان في هذه الحياة لتحقيق سعادته ومستقبله الزاهر.
- الفردية وهي أن الفرد هو محور كل برنامج أو مشروع يتبناه المجتمع كما تعني حرية الفرد في الحياة والاختيار وهو بذلك أساس منطلق كل عمل تنموي أو تحديثي.(بوجلال.م، 2015، ص 212-213)

سادسا: بعض منظري ما بعد الحداثة:

1-جان بودريار: 1929-2007: يعتبر من أبرز منظري ما بعد الحداثة فهو يرى أن وسائل الاتصال الالكترونية قد دمرت العلاقة التي تربطنا بماضينا وخلقت حولنا عالم من الخواء والفوضى فما يؤثر في حياتنا الاجتماعية هو الصور والإشارات التي تتدفق بما فيها المعاني والدلالات على نحو ما نشاهده في التلفاز.(حامد.خ، 2015، ص 137)

ويرى أن المجتمع الحديث قد تطور من محاكاة الشيء الحقيقي ليعود مرة أخرى إلى محاكاة المحاكاة كما في مجتمع ما بعد الحداثة وهذا ما أدى إلى أن يفقد الناس التصور الحقيقي للعالم الذي يعيشون فيه. (بوجلال.م، 2015، ص 2018)

2-ديفيد هارفي: 1935- مازال حيا: يرى في ما بعد الحداثة تغيرا حقيقيا على مستوى من مستويات التشكل الاجتماعي وهذا التغير وليد تطورات جرت على مستوى أعمق في النسق نفسه، ويعزو هارفي التغيرات الاقتصادية والثقافية إلى كونها استجابات لأزمات الرأسمالية التقليدية أزمة زيادة الإنتاج أو ما يدعوه لأزمة التكديس المفرط التي ينظر إليها حسب النظرية الماركسية

باعتبارها وليدة للتناقض القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، ويرى هارفي أن كل التطورات تجعل الأشياء في عالمنا تتغير بصورة سريعة وتبدو زائلة وفي الوقت ذاته حطمت وسائل الاتصال الحديثة الحواجز المكانية فكان نتيجة لذلك التفتيت وعد الأمان والتطور المتقلب سريع الزوال.(حامد.خ، 2015، ص 138-139)

3-سكوت لاش: 1945 - مازال حيا: يرى أن حركة ما بعد الحداثة تنطوي على قلب لنمط تطور الحداثة القائم على التمايز وزيادة استقلال مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، إن تصورات لاش ركزت بشكل أساسي على البعد الثقافي ومحاولته التمييز بين الحداثة وما بعد الحداثة كما حاول أن يختتم أفكاره بمناقشة قضية الهوية البرجوازية ونوعية الطبقات الاجتماعية الناتجة عن التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة.(حامد.خ، 2015، ص 139-140)

المراجع:

1. عثمان عيسى إبراهيم: (2008)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر، عمان، ط1.
2. طلعت إبراهيم لطفي والزيات كمال عبد الحميد: (1999)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب، مصر.
3. الحسن إحسان محمد: (2005)، النظريات الاجتماعية المتقدمة، دار وائل للنشر، عمان، ط1.
4. كريب إيان: (1999)، النظرية الاجتماعية، ترجمة: محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت.
5. بيومي محمد: (2020)، النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة نحو نموذج نظري جديد، المجلة العربية لعلم الاجتماع، مصر، العدد 25، جانفي.
6. حمداوي جميل: (2015)، نظريات علم الاجتماع، ط1، شبكة الألوكة، www.alukah.net.
7. سكوت جون: (2013)، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط2.
8. تيرنر جوناثان: (2000)، بناء نظرية علم الاجتماع، ترجمة: محمد سعيد فرح، منشأة المعارف للطباعة والنشر، الإسكندرية – مصر، ط2.
9. الحسيني السيد: (1985)، نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار النهضة العربية، بيروت.
10. حامد خالد: (2015)، مدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3.
11. المصري خالد موسى: (2014)، الوضعية ونقادها في العلاقات الدولية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد30، العدد1.
12. رائد إدريس وآخرون: (2023)، النظرية البنائية، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1.
13. العدوان زيد سليمان وداود أحمد عيسى: (2016)، النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها في التدريس، مركز ديبيونو لتعليم التفكير، الأردن، ط1.
14. شروخ صلاح الدين: (2005)، مدخل في علم الاجتماع، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر.
15. عبد المعطي عبد الباسط: (1981)، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت.

16. ليلة علي: (1982)، البنائية الوظيفية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط1.
17. ليلة علي: (2015)، النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع: قضايا التحديث والتنمية المستدامة، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر.
18. غيدنز أنتوني: (2005)، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1.
19. العزوزي فهمي سليم: (2006)، مدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر، الأردن.
20. كابان فيليب ودورتيه جان فرانسوا: (2010)، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، ترجمة: إياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية.
21. محروس محمد أنور: (2004)، مناهج البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر.
22. بوجلال مصطفى: (2015)، علم الاجتماع المعاصر بين الاتجاهات والنظريات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
23. عبد الجواد مصطفى خلف: (2011)، نظرية علم الاجتماع المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان–الأردن، ط2.
24. معن خليل عمر: (1997)، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق الأردن.
25. أنجرس موريس: (2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر.
26. عبد الجبار نبيل عبد الحميد: (2009)، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار دجلة ناشرون وموزعون، العراق.
27. تيماشيف نيكولا: (1983)، نظرية علم الاجتماع، ترجمة: محمد عودة وآخرون، دار المعارف، مصر، ط8.
28. صالح هاشم: (د.ت)، من الحداثة إلى العولمة: رحلة في الفكر الغربي وأثرها في الفكر العربي، ط1، كتاب العربية، الرياض.

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف - قسم علم الاجتماع - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

29. Pierre Bourdieu: (1964)، et Jean-Claude Passeron, Les héritiers: les étudiants et la culture, Paris, Les Éditions de Minuit, coll. « Grands documents.

30. Max Weber : (1963)، LE SAVANT ET LE POLITIQUE Paris : Union Générale d'Éditions.

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم علم الاجتماع